

روايات مصرية للجيب

الطارق 6

نيترو وما

د. سيد زهران

فريق
متميزون



E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون).
لتحويل الكتب النادرة إلى صيغة نصية
قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب إلى نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم.إلى الجروب

انضم.إلى القناة

سلسلة الطارق
٠٦

نيتروما

(الجزء الثالث والأخير)

د. سيد زهران

تنويه..

هذه السلسلة من وحي خيال المؤلف تمامًا، وأي تشابه في الأحداث أو الأسماء بينها وبين الواقع هو من سبيل الصدفة..

قدّمها الدكتور: أحمد خالد توفيق.. قائلًا نصًّا:

« سلسلة (الطارق).. أعتقد أنها جيدة وصالحة للنشر، الأسلوب قوي وفيه احترافية.. والمكان غريب وجذاب.. ».

المؤلف

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



الطارق

(طارق عبد الملك) طبيب حالات حرجة مُتحمس، من تلك النوعية التي عندما تتواجد في مكان تُشعله!

يتهامسون سرًّا عن تحسه، لكن الرجل كان ينظر للأمور من زاوية مُختلفة تمامًا، تتلخص في أن المتاعب لا تأتي إلا لمن يستحقها.

أطلق عليه أصدقاؤه مُبكَّرًا اسم (الطارق)؛ لأنه كان مُندفعًا بطبعه، يحب المُغامرة.. والبحث عن نفسه باستمرار في كل شيء حوله.

(طارق) شخصية هستيرية.. مُصابة بقدر مُحتمل من الوسواس القهري.

وصَّفه (فرويد) ببعض الصفات المُقلقة منها:

«ارتباطه الشديد بالأشياء، الاندفاع، المبالغة في التعلُّل، التذبذب الانفعالي، الاهتمام بالتفاصيل، عدم الاقتناع الكافي بدوره في الحياة.. أخيرًا التزامه الشديد الدقة وعدم التعايش مع الفوضى».

بعدما قرأ (طارق) ذلك التحليل عن نفسه، ابتسم في سخرية.. وَقَرَّر أن يعيش حياته كما هي، دون فهم.. دون معاناة، تلك العشوائية تُناسبه أكثر، حتى ولو انتهت يومًا بالجنون.

هكذا ظَلَّت حياته صاخبة، تَمتلئ بالتفاصيل.. والكثير من المَرَضِي والشخصيات التي يقابلها كل يوم، خاصة بغرفة طوارئ مركز (أجزون) (Axon) الذي صار يملكه.

ف هناك كان البعض يتكلم.. البعض يَهْذَى.. البعض يبقى صامئًا إلى الأبد..

لكن ظَلَّت هناك نوعية تبقى.. تُجْرِك لعالمها.

نوعية تحمل بصمة نفسية مميزة! تَعْلُق في ذهنك، وتظل تُفكر فيها؛ لأسباب غير معلومة!

قبل النوم عَادَة ما كان يمسك (طارق) يومياته المُهترئة، التي نستطيع إدراجها تحت قائمة الأدب النفسي الساخر..

والتي تحمل عنوانًا كبيرًا بخط يدوي أحمر.. (أوغاد في حياتي)!

هناك يبدأ التفريغ.. ويختلط خياله بالواقع لدرجة أنك قد لا تعرف أين الحقيقة، إنها وسيلة هروب (طارق) لجعل حياته أكثر احتمالًا..

والخَلاص مِنْ كل تلك الوجوه التي تُطارده ليلاً.
ومع كل شخصية استثنائية يُقَابِلها، هناك رواية مُسلية تنتظر، سَنَقْرُأها مَعًا
على ذلك الضوء الخافت.. والأمطار التي لا تريد التوقف بالخارج.

المؤلف

oo oo oo oo oo



المقدمة

الحادية عشرة والنصف صباحًا..

يوم خريفي بامتياز.. نسائم الهواء العشوائية التي لا تستطيع تحديد اتجاه لها، غياب الشمس خلف تلك السحب المتفرقة وعودتها سريعًا، لسعة البرد المُحتملة.. أخيرًا ورق الشجر الذي يملأ الرصيف.. ويصدر عنه - مع كل نسمة هواء عابرة - ذلك الصوت المُحبب إلى النفس.

إنها الأجواء التي تدفع - قهْرًا - إلى الاكتئاب.. وتعصف بالنفس؟!.. خاصة مع تلك الشخصيات الهستيرية ذات الحساسية المفرطة تجاه الأشياء.. والتي يرتبط دائمًا مزاجها بتغير المناخ.

المكان المعتاد، مركز (أجزون) (Axon) بالمعادي.. والذي يعرفه بعضكم بأنه مركز طبي، كان يسعى للتعامل مع الحالات الحرجة فقط، لكنه فشل في ذلك؟.. وتحول بفضل كل العاملين فيه.. إلى ما يشبه المستشفيات الحكومية!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم ينم (طارق) منذ خمسة أيام؟.. مثلما فعل تلك الليلة.. بسبب الحمى.. اليوم - فقط - بدأ ينحصر الأمر.. ونام بعمق.

أيضًا لم يعد هناك خوافض حرارة.. ومضادات حيوية..

فجأة.. قرر جهازه المناعي العمل.. وإعلان النصر..

فتح عينيه.. ليجد أمه تجلس على فراشه، تتشج بالسواد.. ومن خلفها يقف (عثمان) في صمت بارد..

انتفض (طارق) جالسًا.. يردد تلك العبارة السخيفة:

- «أمي؟»

أعطته تلك الابتسامة الصارمة التي تُجيدها.. قبل أن تقول بحدة:

- «نعم أمك التي تُصر كل مرة على أن تكون آخر من يعرف أخبارك..»

اعتدل (طارق) في الفراش مُستدعيًا تلك الابتسامة المفتعلة.. وهو ينظر لـ (عثمان) جاسوس العائلة في تواعد، لأنه مَنْ قام بإحضارها.. متممًا:

- «إنه مجرد برد عادي..»

تأملت البقع الحمراء التي تملأ رقبتة.. وبعض وجهه، قائلة بنفس الحدة:

- «برد عادي يفعل بك هكذا؟»

لوح (طارق) بيده - مستهينًا بالأمر - قبل أن يقول:

- «حساسة.. هكذا تفعل بي المُسكنات دائمًا..»

ونفض من الفراش، يرتدي الروب الأزرق المخطط إياه.. ثم يُشير لـ (عثمان)
بأن يقترب.. متوعدًا:

- «حسابك معي بعدين؟»

تدخلت الأم تردد:

- «ماذا تقول له؟»

أنكر (طارق).. مُجيبًا:

- «أبدًا.. كنت أسأله عن شيء ما..»

ضاقت عينا (عثمان) مقررًا كشفه..

- «كان يتوعدني يا ست الحاجة..»

لوحته له الأم بإصبعها قائلة بتحذير:

- «إياك وأن تقترب منه.. مفهوم..»

ارتسمت علامات السعادة والرضا على وجه (عثمان).. بينما حملت ملامح
(طارق) الغيظ الشديد.. وهو يقول:

- «حاضر يا أمي..»

ثم عاد يقترب من (عثمان).. متسائلًا بلهفة:

- «هل دكتور (ماجد) بالمركز؟..»

(عثمان) هامسًا:

- «لا.. هل تحب أن أتصل به؟..»

(طارق) منزعًا من غيائه:

- «بالعكس.. أنا لا أريده أن يري أمي..»

عقد (عثمان) حاجبيه في غباء.. متسائلًا:

- «لماذا..»

لم يملك (طارق) أي ردا.. فماذا سيقول له؟..

هل يُخبره أنه كان دائماً يكره بشدة - قديماً - لحظة دخول أمه المدرسة كي تقضي له أمراً ما!.. لأن زملاءه - بعد انصرافها - كانوا يُحَقِّلُون عليه بقية اليوم. وهكذا حتماً سيفعل (ماجد) عند رؤيتها، إنه يعرفه جيداً، لن يُضيع تلك الفرصة..

عاد (طارق) يقول هامساً لـ (عثمان) بلهجة أمرة:

- «ستهبط الآن إلى أسفل.. ولو رأيت (ماجد) ستقوم بإلهائه حتى تنصرف أُمي!.. مفهوم؟!.. إنها فرصتك الأخيرة كي تُصلح ما فعلته اليوم..»

هز (عثمان) رأسه بمزيد من عدم الفهم.. متمماً:

- «حاضر..»

وكاد أن يتحرك مغادراً الحجرة.. لكن فجأة اقتحم صوت (ماجد) المكان يقول بمرح، يحمل لمحة خفية من السخرية:

- «لقد علمت أن والدته الدكتور (طارق) هنا.. فكان لابد من الصعود للترحيب بها..»

ارتسم على ملامح الأخير إحساس من الصعب وصفه سوى بالكوميدي.. وهو يستقبله قائلاً بغيط، يحاول السيطرة عليه:

- «فيك الخير..»

(ماجد) باستمتاع:

- «إنه الواجب..»

وانحني يسلم على أمه مستطرداً:

- «حمدالله على السلامة يا ست الحاجة.. لقد تأخرت تلك الزيارة كثيراً..»

الأم بترحيب:

- «من هذا الطبيب اللطيف؟..»

رسم (ماجد) على وجهه علامات الخجل بشكل سيئ.. و(طارق) يضيف بحدة - محاولاً - استساعة الوصف:

- «إنه الدكتور (ماجد).. شريكى في المركز..»

تدخل الأخير يقول منزعجاً:

- «فقط؟..»

والتفت إلى الأم يستطرد:

- «أنا أيضًا صديقه..»

ابتسم (طارق) في سخافة.. والأم تقول بود:

- «شكلك ابن حلال.. ربنا يهديكم لبعض..»

- «أشكر يا أمي..»

الأم في لوم لـ (طارق):

- «هل يرضيك أن يخبي على مَرَضه يا دكتور (ماجد)..»

هز الأخير رأسه في اعتراض.. ثم اقترب من (طارق) يمسك بأذنه مضيئًا:

- «إنه دائمًا مهمل في صحته..»

تملص منه (طارق).. هامسًا بغيط:

- «كفاية كده..»

قاوم (ماجد) ضحكه.. هامسًا بدوره:

- «لقد بدأت الحفلة الآن، لماذا تريد إنهاؤها سريعًا..»

- «ستدفع ثمن هذا..»

(ماجد) في تصعيد:

- «هل أوصتكَ بوضع ورقة جورنال فوق صدرك أثناء النوم، أم لم تفعل بعد؟»

زم (طارق) على شفته بمزید من الغيط.. و(ماجد) يعود للأم مردقًا بمرح:

- «هل شاهدتِ المركز؟..»

الأم:

- «لا..»

(ماجد).. وهو ينظر لـ (طارق) بدهشة مصطنعة.. قائلاً:

- «كيف هذا؟.. لا بد من رؤيتك لكل جزء فيه، كي يزداد بركة..»

(طارق) معترضًا:

- «ليس الآن، أمي تعبانة من السفر.. وتريد الراحة..»

(ماجد) بإلحاح:

- «حسناً.. وقت آخر..»

سحب (طارق) يد (ماجد) بعيداً.. قائلاً بعنف:

- «سأضع لك السم في الطعام بضمير مستريح إذا لم تغادر الآن..»

(ماجد) مقاوماً المزيد من الضحك:

- «كم ستدفع؟..»

تدخلت الأم مقاطعة لحديثهم.. قائلة:

- «سأعود للبلدة الآن..»

اتسم الموقف بالجدية المفاجأة.. و(طارق) يتقدم نحو أمه معترضاً:

- «كيف هذا؟»

الأم بحب:

- «الدار وحدها.. أردت فقط الاطمئنان عليك، لكن قبل سفري لي طلب عندك..»

صمت (ماجد).. و(طارق) يسألها:

- «ما هو؟»

الأم:

- «أريد التحدث إلى (عمر) ابن خالك..»

(طارق):

- «إنه نائم الآن يا أمي..»

الأم بحسم:

- «اتصل عليه..»

(طارق) بعد اقتناع:

- «حاضر..»

وقام بتلبية رغبتها.. طال الجرس.. وعندما شرع (طارق) في قوله:

- «لا يرد.. لقد أخبرتك أنه.....»

فجأة.. أتي صوت (عمر) عبر الهاتف يقول بهدوء:

- «آلو..»

تجمعت دموع الأم.. التي لم تر ابن أخيها يومًا.. قائلة:

- «آلو.. كيفك يا حبيبي.. أنا عمتك..»

وانزوت بعيدًا تتحدث إليه.. في حين اقترب (ماجد) من أذن (طارق) يهمس:

- «لقد أدركت الآن سر كآبتك المستمرة؟!.. واضح أنكم عائلة تعشق النكد..»

لكزه (طارق) بكوعه.. وهو يغادر الغرفة، قبل أن يتنهّد ويراقب أمه، متذكرًا بقية تفاصيل لقائه بابن خاله (عمر لاشين)..

والذي لم يكن هنا على أرض (مصر)..

بل هناك.. في الولايات المتحدة الأمريكية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كعادة روايات الأجزاء المزمّنة - قبل الاستمرار - لا بد من العودة قليلًا للخلف..

بدأت الأحداث هناك في قرية (طارق)..

حيث أخبرته أمه أن خاله (عبد ربه)، الذي لم يره يومًا.. وهاجر إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) في فترة الستينات. تحديدًا عقب نكسة (67).. قد غادر الحياة.

مخلّفًا وراءه ابنًا وحيدًا لم يزور (مصر) من قبل!..

(عمر).. (عمر عبد ربه لاشين)..

تربي (عمر) على طلب العلم فقط!.. حتى صار ذلك الشاب غريب الأطوار ، قليل الحديث.

تخرج (عمر) في جامعة (يل).. ونتيجة لتفوقه العقلي استهوته دراسة علم الظواهر غير الطبيعية، خاصة خوارق ما وراء النفس البشرية (الباراسيكولوجي) (Parapsychology).

لكن نتيجة لأصوله العربية، ظل كثيرًا من الوقت يمارس العمل المكتبي!.. حتى جاءت تلك اللحظة التي ينتظرها؟!..

تكليف حقيقي بمهمة جادة، ليلة رأس السنة..

قال له مدير مركز الطواهر الإنجليزي الأصل بحزم:
- «أعرف أن طبيعة عملك تنحصر في الشأن الداخلي، لكن نظرًا لغياب
المحترفين الليلة سنضطر للاستعانة بك.. ولو بشكل مؤقت..»
طبعًا.. غَاظ (عمر) بشدة أن يكون احتياطيًّا لأحد.. و..
قَبِل التحدي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أثناء ذلك كان (طارق) يحاول تلبية رغبة أمه بالتواصل مع ابن خاله، لم يكن
يعرف له رقم هاتف أو عنوانًا واضحًا.. فقط بريد إلكتروني..
بدأ يرسل العديد من الرسائل دون استجابة.. حتى عرض عليه (عمر) يومًا -
فجأة - القدوم لزيارته..
حينها لم يصدق (طارق) أن التي بين يديه تلك تأشيرة دخول لـ (أمريكا) مدتها
شهر، وتذكرة سياحية ليلة رأس السنة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في صباح ذلك اليوم، تم انتشار تابوت أثري.. يخص أحد قبائل حضارة (المايا)
بجذر الكاريبي.. بأمريكا الوسطى..
صحافة.. إعلام.. ضجيج..
في النهاية استقر التابوت بأحد أقبية البلدية.. والتف حوله ثلاثة علماء..
مستر (فويت) عالم آثار..
مستر (مينرو) إنسانيات..
وبروفيسور (تورادو) تكنولوجيا جزيئية..

كانوا يتوقعون حدثًا مهمًا، لكنهم في النهاية لم يجدوا سوى مجرد جثة متحللة
لرجل وثني مع بعض أغراضه الفخارية الهشة!.. وجدوا أيضًا جلد حيوان يحتوي
على رسوم لفظية.. ترجمتها:

- «لقد حَلَّت اللعنة.. إنني الأخير!»

هنا.. تذكر الجميع فجأة أن اليوم هو الكريسماس.. فانصرفوا لحياتهم.. لكن
عند اقتراب الثانية مساءً، بدأت بعض الأحداث الغامضة تحدث لفريق
البحث؟!..

سقط مستر (فويت) فجأة يعاني الاختناق!.. وفشلت كل محاولات إعادته للحياة!..

أيضًا مستر (مينرو)؟!..

كان من الممكن عدم الربط بين الحادّين وما قاموا به اليوم، لولا ظهور شيء واحد جمعهم؟!..

لقد تحول لون جلد الضحيتين بعد الموت مباشرة إلى اللون الأزرق!..

ذلك ما جعل رجال الأمن القومي يُسرّعون في محاولة تأمين بقية فريق البحث.. وعلى رأسهم البروفيسور (تورادو)..

لكن كالعادة في تلك المواقف، أتى ذلك متأخرًا!.. بعدما لقي كل مَنْ اشترك في عملية البحث حتفه بنفس الطريقة؟!.. عدا الدكتور (تورادو)؟!.. كان الوحيد الذي بقي حيًّا، لكن حالته حرجة.. ونزيل بغرفة عناية فائقة.

بدأ (عمر) رحلة البحث عن تفسير، دون أن يكون له علاقة بالشق الجنائي.. كما تُلزمه قواعد مركزه البحثي..

لكن ظهرت تلك الوجوه الأمنية الصامتة.. التي تعرف أكثر من الجميع؛ لبشر أن الأمر جد خطير.. وأن هناك أحداثًا قادمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من أهم تلك الوجوه السيناتور العجوز (ويتمان هاريس) عضو الكونجرس الديمقراطي.. والذي كان يُعارض بشدة، سياسات وزارة الدفاع المُتمثلة في الجنرال الغامض (توماس).. وتلميذه الطموح (توم)، في إدارتها للأمور.

تم إعلان حالة الطوارئ، وعزل كل مَنْ كان له صلة مباشرة بالأمر، لكن رغم كل هذا تسرب ذلك الشيء؟!.. وأصبح هناك ما يشبه الوباء في مدينة (فلوريدا)؟!..

مما أدّى إلى سقوط الضحايا.. وفرض دائرة العزل..

تلك الدائرة التي كان قطرها يزداد مع الوقت، حتى وصل إلى خمسة كيلومترات، بمحيط مبني الحجر الصحي..

استعان (عمر) بدكتورة التكنولوجيا الجزيئية إيطالية الأصل (صوفيا)، مع مساعدتها المخبول (مارتن) في البحث المعملّي الجنائي..

أثناء ذلك وصل (طارق) (فلوريدا).. مما اضطر (عمر) لاصطحابه معه أثناء العمل، شرط أن يظل صامتًا..

لكن رويدًا.. رويدًا.. تورط (طارق) في الأحداث حتى أصبح جزءًا منها..
طاردهم (توم) مبعوث البنتاجون والمُكلف بالقضية، حتى استطاع القبض على
البروفيسور (تورادو)، بعد محاولته للهروب منه.
طارد أيضًا (صوفيا) و(مارتن) حتى اقتحم رجاله شقة الأخير وشرعوا في
القبض عليهم..

شراسة (توم) غير المُبررة في التعامل مع الموقوف، أشارت بشكل غير
مباشر أنه يريد طمس شيء ما سريعًا!.. قبل أن ينتبه له الآخرون..
هنا.. تجاهل مدير جهاز الأمن القومي الداخلي (FBI)، إخطار (البنتاجون)
الرسمي بعدم التدخل في القضية.. وقرر الدفع بألد أعداء (توم)..
المفتش (غوستاف).. والذي كان لا يؤمن سوي باستخدام العنف كوسيلة لحل
أي صراع!

ظهر في الصورة أيضًا اللوبي الصهيوني الأمريكي لتحقيق أي استفادة، عن
طريق الضغط على رجلهم الجنرال (توماس)..

والذي اكتشف تجسسهم عليه عن طريق خادمه (بنيامين)، مما أغضبه..
وجعله يقرر عدم التعاون معهم مرة أخرى، لكن الأوراق التي كانوا يمسكونها
عليه.. قادرة على التسبب في سجنه مدي الحياة؟!.. فتراجع ذليلًا.. وأصبح
خرقة بالية في أيديهم يفعلون بها ما يشاءون.

كل هذا جعل (توم) يحاول الخلاص مبكرًا من الحلقات الأضعف في طريقه،
كي يفيق لمنافسيه الجدد الأقوياء؟!.. خاصة (غوستاف) الذي تلقى منه مؤخرًا
هزيمة، تمثل نقطة سوداء في ملفه..

فطارد رجاله سيارة (عمر).. التي كانت تقل مساعده (نورمان) و(طارق)..
لدرجة إطلاق الرصاص..

تمالك (عمر) أعصابه.. وحاول العبور بجوار تلك الشاحنة العملاقة التي ظهرت
فجأة أمامه..

أصابته تلك المناورة قائد الشاحنة بالارتباك.. فأطلق النور العالي.. محاولًا
الرؤية بشكل جيد.. و.....
كان التصادم حتميًا..

لكن رغم ذلك.. استطاع (عمر) تجاوز مقدمة الشاحنة بسلام.. وكاد أن يتم
الأمر، لولا أن مسته مؤخرة الشاحنة؟!..

كانت مجرد لمسة طفيفة للجانب الأيسر من السيارة، لكن مع تلك السرعة الكبيرة، التي كان ينطلق بها (عمر).. بدت كأن السيارة قد أصابها قذيفة مدفع..

وطارت في الهواء، لعدة أمتار مائلة.. قبل أن تخرج عن الطريق.. وتتدحرج بعنف فوق ذلك المنحدر المائل.. لترتطم في النهاية بتلك الأشجار..

ساد الصمت الموقف لثوان.. قبل أن يظهر رجال (توم) بأعلى..

كان (عمر) و(طارق) قد نجحاً بصعوبة في مغادرة السيارة المقلوبة.. ويحاولان إخراج (نورمان).. الذي بدا فاقداً للوعي..

لكن الرصاص الذي عاد ينطلق نحوهم بغزارة جعلهم يتخلون عن الفكرة..

التف الاثنان بسرعة حول السيارة من الجانب الآخر للاحتماء، كان (عمر) يلهث بشدة، وقد أصابه الإعياء فجأة.. فاندفع (طارق) يساعده على الوقوف.

وضع (عمر) يده اليسرى داخل معطفه، قبل أن يُخرجها ملوثة بالدماء..

اتسعت عينا (طارق) في ذعر شديد.. كأنه لا يصدق أن ذلك يحدث!.. في اللحظة التي توقف فيها إطلاق الرصاص..

عاد يطل برأسه.. ناظرًا بحذر خلف السيارة، فوجد ثلاثة من الرجال يتقدمون نحوهم بحذر.. وهم يشهرون أسلحتهم..

حاول (طارق) الفرار مع (عمر) لكن إصابته منعتة..

- «هيا.. إنها فرصتك الأخيرة..»

استجمع (طارق) كل طاقته.. ثم انطلق بأقصى سرعة نحو تلك الأشجار الكثيفة، التي كانت على بعد أمتار، تلاحقه تلك الرصاصات في إصرار..

ليصير غريبًا.. ووحيدًا في شوارع ولاية (فلوريدا) الخلفية¹..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تصاعدت الأحداث بشكل سريع؟.. وهرب (طارق) داخل تلك الأحراش - دون هوية - حتى أنهكه التعب لدرجة السقوط..

وفجأة.. وجد أمامه رأس أفعي (بيثون) عملاقة عاصرة..

كادت الأفعي أن تفتك به.. لولا ظهور ذلك العجوز (جاك) - صائد الأفاعي - والذي قام بإنقاذه بعد فقدته للوعي..

استفاق (طارق) ليجد نفسه داخل كوخ، يُذكر بأفلام الغرب الأمريكي..

تصادق دون جهد مع العجز، الذي كان يعاني من الوحدة.. وفي حالة بحث عن أي إثارة في أيامه.. تُعيده للحياة.

عرض عليه أن يقوم بتوصيله لأي مكان يريده.. فلم يجد (طارق) مكانًا يذهب إليه سوى (مارتن)..

والذي كان هو أيضًا في حالة حصار ومراقبة مستمرة، من قبل رجال الأمن القومي التابعين لـ (توم)..

وصل (طارق) للمبنى.. ومنذ اللحظة الأولى شعر أنه مراقب..

تعامل مع الأمر ببساطة.. ومر أمام الجميع دون أن يراه أحد؟!.. مُستعينا بفتاة تدعي (لولا)..

استخدمها كغطاء.. لتشتيت الانتباه..

في النهاية نجح (طارق) في مقابلة (مارتن).. والذي طلب منه إحضار آجار باكتيريا من مدينة (سانت بيتسبيرغ)، لاستكمال أبحاثه على ذلك الفيروس الذي لا يستطيع فهمه علميًا.

لم تكن رفاهية الاختيار متاحة أمام (طارق)، لأنه أولًا تورط في الأمر.. ثانيًا كان لا يزال يحمل أملًا أن (عمر) بخير..

فانطلق في رحلته مع العجز (جاك) نحو مدينة (سانت بيتسبيرغ).. دون أن يعرف أنه قد تم رصده.. ويخضع لمراقبة رجال (توم)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على الجانب الآخر، انطلق المفتش (غوستاف) رجل الاستخبارات الداخلية (FBI).. يحاول العمل على القضية بعد تكليفه بالأمر..

وجد مقاومة شرسة من منافسه (توم).. والذي استطاع أسره بمركز العزل الصحي بولاية (فلوريدا)..

لكن (غوستاف) استطاع الهرب بمساعدة رفيقته (ميراندا).. ودخل في مواجهة مباشرة عنيفة مع رجل الأمن القوي..

انتهت بحصوله على غالبية المعلومات التي تخص القضية من الدكتور (باز) مدير مركز العزل..

قدم (غوستاف) ما لديه من معلومات إلى قيادته المباشرة، فترتب على ذلك اجتماع ثلاثي جمع كلا من رئيس المخابرات المركزية (CIA).. ومدير الـ (FBI).. والمستشار الأمني للرئيس (كونر)..

أسفر الاجتماع عن تجميد للموقف.. وإنكار شديد لتطورات الأحداث من قِبَل الأخير، مما جعل مدير المخابرات المركزية (CIA) يشك في الأمر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخل عالم الفيروسات اليهودي الأصل (شاؤول) الأحداث عن طريق (توم).. والذي كلفه - بعد موافقة الجينرال (توماس) - بإدارة مركز الأبحاث.. لإيجاد حل سريع للوضع البيولوجي في (فلوريدا)..

ادعي (شاؤول) أن الدكتور (تورادو) هو من سطا على كل أفكاره، خاصة تلك المتعلقة بالفيروس الذي ابتكره لأبحاث الفضاء، عندما كان يعمل معه كمساعد.

لم يشعر (توماس) بالارتياح للرجل من أول لحظة.. لأنه كان يحمل بُغْضًا شديدًا لأي شيء يهودي بتلك الفترة..

خاصة بعدما هددته جمعية (اللوبي الصهيوني) بفضح فساد، إذا لم يتعاون معهم.. لاستكمال مشروع السلاح البيولوجي الذي يدعمونه ماديًا..

كان (توماس) مضغوط عصبيًا بشدة.. ولم يكن ينقصه سوى دفعة صغيرة أخيرة، كي انفجر..

وهذا ما حدث عندما وجد أمامه فجأة - عند منتصف الليل - جثة السيناتور (ويتمان).. ملقاة على أرض مكتبه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قابل العجوز (ويتمان) قبل وفاته مباشرة مستشار الرئيس الشاب (كونر).. وعندما انتهت المقابلة صمت السيناتور يفكر قليلًا.. قبل أن يأمر حارسه الخاص بالتحري عنه..

عرف أنه يهودي صهيوني.. عندئذ شعر بالخطر، فقام باستدعاء حارسه الخاص، الأفريقي الأصل.. وأعطاه ملقًا.. قبل أن يوصيه بإرساله لـ (عمر لاشين) إذا حدث له شيء..

وبالفعل.. بعدها بقليل، استطاع (كونر) أن يقتل (ويتمان) في مكتبه، بعقار خاص.. كي يُظهر الأمر على أنه أزمة قلبية..

كادت القضية تسير في هذا المسار فعليًا، لولا ظهور (غوستاف) في مسرح الجريمة.. والذي كان سببًا في تغيير رؤية المحقق للأمر.. ودفع القضية نحو التفكير الجنائي.

هذا جعل (توماس) المُتأثر بموت (ويتمان) حَقًّا ينفلت.. ويقرر المواجهة ؟.. قتل (بنيامين) مدير منزله.. جاسوس الجمعية عليه.

تجمد تفكير (توم).. الذي شاهد الجريمة.. فقد كان هذا لا يعني سوى أمر واحد؟.. وهو أن الساعات القادمة ستحمل الكثير من الأحداث..
وأن الأسرع فقط هو الذي سوف يفوز..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تم تكليف (توم) بالعديد من المهام الجديدة، التي يجب إتمامها قبل أول ضوء، مهما كلفه الأمر..

فتابع كل التفاصيل بشكل محموم، حتى وصله أن كل أعضاء فريق البحث قد غادر الحياة في ظروف غامضة..

دون علمه أن (شاؤول) هو مَنْ تخلص منهم جميعًا؟.. عن طريق تعريضهم للفيروس الغامض، محور الأحداث..

كي يستطيع أن ينقل كل أسرار المركز للخارج.. ويكون لديه حجة مناسبة للحصول على فريق بحثي آخر من رجاله..

في نفس الوقت تقريبًا استطاع (توم) تحديد موقع (طارق)، عن طريق الأقمار الصناعية..

كان في محطة قطار مدينة (سانت بيتسبيرغ).. ويستعد للعودة إلى مدينة (تامبا)..

كلف اثنين من رجاله بملاحقته..

حاول (طارق) الهرب بصحبة العجوز (جاك).. لكن الأخير توقف يصرخ:

- «أكمل أنت..»

ثم توقف.. يحاول إعاقة فردي الأمن، كي يمنحه بعض الوقت، لكن ظلت مشكلة (طارق) أنه لم يعد أمامه مجال للهرب سوى....

محاولة الوصول للرصيف الآخر!..

وكم كان هذا صعبًا.. ويتسم بالخطورة..

لكن أمام إيقاع تلك الأقدام التي تطارده.. والوجوه الباردة الصارمة، لم يفكر كثيرًا..

قفز مباشرة نحو القضبان.. وبدأ يحاول العبور للجانب الآخر..

شهق الركاب.. وتعالى بعض صراخات النساء؟!.. دون أن يشعر (طارق) بذلك الوحش المعدني الصامت السريع؟!.. الذي بدأ في دخول المحطة؟!..

كان قطارًا عكسيًا..
فجأة.. ظهر من العدم على بعد أمتار.. و....
كان التصادم حتميًا؟!..²

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



1 - الوكالة..

الواحدة وسبع وأربعون دقيقة صباحًا: ٠١:٤٧ AM

استعاد (عمر) جانبًا كبيرًا من صفائه الذهني، مع تدفق تلك المحاليل الوريدية إلى دمائه، قبل أن يمد يده ببطء، ليلتقط ملفه العلاجي، المعلق بجوار السرير..

كان يريد أن يعرف مدي إصابته.. وتوصيفها..

حصل على الملف.. وبدأ يقلب أوراقه بهدوء.. وعينه لا تغادر مراقبة ذلك الثور البشري الذي يحرسه بالخارج..

ساعده على ذلك الإضاءة الخافتة للغرفة.. وتأخر الوقت..

- «إصابة العضلة الخارجية للكتف بطلق ناري، لم يؤثر على الأعصاب أو أي أوعية دموية..»

تنهد (عمر) بارتياح.. وهو يُكمل قراءة بروتوكول علاجه لدقائق أخرى إضافية، قبل أن يُغلق الملف.. ويُعيده لمكانه شاردًا..

كان لا بد له أن يغادر تلك الغرفة بأي طريقة.. وبأقصى سرعة.. هذا ما استقر عليه عقله، رغم الخطورة التي قد تنطوي وراء ذلك..

أخذ يمسح التفاصيل من حوله، حتى توقفت عيناه عند جهاز صدمات قلب أحادي الطور³..

لم يكن بعيد عنه كثيرًا.. فبأقل مجهود يستطيع أن تطوله بيده..

أخذ يتربص المناخ خارج الغرفة جيدًا، حتى وجد حارسه يتلفت يمينًا ويسارًا، قبل أن يشرع في إخراج سيجارة.. ويُشعلها..

عندئذ.. مد (عمر) يده.. وشد الجهاز الذي تحرك فوق قاعدته - ذات العجل - بسهولة نحوه..

استقر الجهاز بجوار سريره تمامًا، قبل أن يشرع في فحصه، كان مشحونًا على رقم (٣٦٠) جول..

- «جيد..»

عاد يتأمل حارسه.. وهو يأخذ نفسًا عميقًا.. ثم قرر ذلك..

ضغط زر الاستدعاء.. فدلفت إليه ممرضة أخرى، لا تقل جمالاً عن تلك التي كانت ترعاه سابقاً..

قال (عمر) بشكل تلقائي:

- «أين....»

أدركت أنه يسأل عن زميلتها.. كانت معتادة على ذلك السؤال..

فأي مريض - غالباً - عندما يفتح عينيه للمرة الأولى، خاصة بعدما تعطيه الحياة فرصة أخرى!.. يشعر بالآلفة تجاه مَنْ قدمت له الخدمة..

كأنها هي مَنْ أنقذته.. فيتعلق بها - أحياناً - لدرجة رفض التعامل مع أخريات.. وقد تتطور الأمور إلى مشاعر.. ثم ارتباط!..

الغريب أن هذا لم يحدث لها يوماً.. يحدث فقط مع زميلاتها!!!.. لهذا أجابته الممرضة بشيء من السخط:

- «تقصد (روز)؟»

- «نعم..»

- «انتهت فترتها..»

ثم ابتسمت بافتعال.. مستطردة:

- «لكن اطمئن.. غداً تستطيع رؤيتها..»

أماء (عمر) برأسه.. ثم سرعان ما تذكر خطته.. رسم على وجهه علامات المعاناة.. وتلاحق الأنفاس قائلاً:

- «هناك ألم في صدري لا يريد التوقف..»

اقتربت منه الممرضة تسأل.. وقد انتابها بعض القلق:

- «هل هو نفس الألم الذي استيقظت به من العملية؟..»

(عمر) في تصعيد:

- «لا.. إنه ألم مفاجئ، أشعر أنه يعتصر قلبي..»

نظرت الممرضة لكل معدلاته الحيوية على مونيتر (monitor) الرصد.. فلم تجد ما يقلق.. عادت تنظر إليه قائلة:

- «إنه من تأثير الجرح..»

(عمر) بصعوبة:

- «أشعر.. أشعر...»

وطوح بيده.. فسقط كوب ماء كان بجواره على الأرض، مما تسبب في بعض الجلبة..

أطفأ الحارس سيجارته سريعًا، ثم دلف للغرفة ليستكشف ما يحدث.. فوجد (عمر) يكاد يسقط عن سريره.. والممرضة تحاول مساعدته..

تدخل هو الآخر.. وكان هذا ما يريده (عمر) بالضبط..

الاقتراب.. مجرد الاقتراب..

نجح الحارس في إعادته إلى سريره.. قبل أن تتسلل يد (عمر).. وتلتقط قبضة جهاز الصدمات الوحيدة.. و.....

يلصقه بجسد الحارس الضخم..

ضاقت عيناه بعدم فهم، لم يدم إلا ثانية واحدة.. وهو يتطلع لـ (عمر)... وتلك الشحنة الكهربائية الضخمة، تسري عبر جسده..

انتفض الحارس بعنف.. وكادت الممرضة تصرخ، لكن لسوء حظها، كانت تقف على مقربة منه..

طال جسدها غالية الشحنة، مما أفقدها الوعي مباشرة.

أما الحارس فقد ظل يرمق (عمر) في صدمة لثانية أخرى إضافية، لدرجة أن الأخير كاد أن يصعقه مرة أخرى..

لولا أن سقط عليه في آلية بدت مضحكة..

شعر (عمر) بالألم.. وهو يُعيد مقبض جهاز الصدمات إلى مكانه في صعوبة ، قبل أن يفحص الوريد العنقي للحارس الجاثم على صدره، ليطمئن على أنه ما زال على قيد الحياة..

بعدها أراحه في رفق.. متممًا:

- «سامحني أيها الوغد..»

استقر الحارس على الأرض بجوار الممرضة الحسنة، قبل أن ينزع عن جسده كل تلك الوصلات..

وتلمس قدماه الحافية الأرض. شعر بشيء من عدم الاتزان.. لكنه سرعان ما نهض.. وبدأ في مغادرة الغرفة..

لم يستطع مقاومة الذهاب إلى رفيقه (نورمان).. والذي كان يتابع كل ما يحدث بحماس..

مسك يد (عمر) بقوة، بعدما وصل إليه.. قائلاً:

- «لا تضيع الوقت.. اذهب من هنا..»

وأشار نحو باب جانبي لغرفته.. تجاهل (عمر) العبارة.. متسائلاً:

- «هل أنت بخير؟»

(نورمان) بتلاحق:

- «نعم لا تقلق..»

ثم أضاف مستطردًا:

- «هذا الباب سيقودك للمغسلة.. أنا أعرف هذا المكان جيدًا..»

ران الصمت بينهم لثانية.. و(نورمان) يدفعه للهرب.. مردفًا بحدة:

- «هيا.. سيأتون بعد قليل..»

استجاب له (عمر).. وتحرك قائلاً:

- «سأعود من أجلك..»

(نورمان) بثقة:

- «أعرف ذلك..»

وضع (عمر) يده على جرحه متألماً.. ثم أخذ يهرول بسرعة متوسطة، قاصداً الباب الذي رشحه له (نورمان)..

فتحه بحذر.. قبل أن يختفي وراءه، في اللحظة التي دلف فيها للردهة الخارجية للغرف، اثنان من رجال الأمن العاديين بالمستشفى..

واللذان بمجرد أن لمحا الفوضي الموجودة بغرفة (عمر).. وعدم تواجد الأخير، اندفع أحدهم يفحص الممرضة والحارس الفاقدين للوعي على الأرض..

بينما أخذ الآخر على عجل - يُبلغ عبر جهاز اتصال لاسلكي داخلي.. غرفة الأمن الرئيسية للمستشفى بالمستجدات..

بعدها ذهب لغرفة (نورمان) للبحث.. والذي أسرع يقول بلهفة بمجرد رؤيته:

- «لقد رأيت ما حدث.. قام بصعقهم.. ثم ذهب من هنا..»

فرد الأمن بشك:

- «متأكد؟»

- «نعم.. هو لم يتعد كثيرًا.. تستطيع أن تلحق به..»

كانت لهجة (نورمان) مُقنعة.. لذا لم يُضيع فرد الأمن ثانية أخرى إضافية..
واندفع يطارِد (عمر) في الاتجاه الوهمي الذي حدده له الأخير..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الواحدة وتسع وخمسون دقيقة صباحًا: ٠١:٥٩ AM

وقف مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، في غرفة عمليات
متوسطة، تم تشكيلها.. والانتقال إليها تَوًّا.. لمتابعة الموقف في (فلوريدا).

لم يكن من المعتاد في الوكالة أن يقود رئيس الجهاز أمرًا ما بنفسه.. وبذلك
السرعة، إلا لو كان هناك شيء ما على أعلى درجة من الخطورة والأهمية
يحدث.. مما أضفي على الغرفة أجواء الجدية والتوتر..

خاصة عندما قال مدير الوكالة بصرامة:

- «ما سوف يحدث بتلك الغرفة من الآن سري للغاية..»

تبادل الجميع بعض نظرات الدهشة الصامتة!.. فمنذ متي لا يحدث هذا؟!..
عملهم - أصلًا - لا يحمل سوي كلمة سري للغاية؟!.. ما الجديد في الأمر هذه
المرة؟..

استطرد المدير بنفس الصرامة:

- «بمجرد البداية لن تكون هناك فرصة للتراجع، سيكون غير مسموح
بالمغادرة أو حتى الاتصال بالخارج!.. هل يبدو ذلك واضحًا؟..»

هذا هو الجديد إذن؟.. إنهم سيكونون في حالة اجتماع دائم، إلى أن تنتهي
الأزمة التي يعملون عليها..

ران على الغرفة المزيد من الصمت.. وعندما لم يجد المدير أي بوادر تراجع
أو حتى علامات استفهام.. أعطي إشارة البداية..

- «القضية التي سوف نعمل عليها، قضية أمن قومي من الدرجة الأولى..
متورط فيها أطراف متعددة..»

وتوقف لحظة.. ثم أضاف بلهجة حادة:

- «منها مؤسسة الرئاسة..»

حصل على انتباه الحضور بعد العبارة الأخيرة..

- «حتمًا ستكون هناك عيون كثيرة، يهملها أن تعرف ما نقوم به، يجب أن لا نعطيهم الفرصة لذلك..»

أدرك الجميع في تلك اللحظة، لماذا كل هذه الإجراءات الاحترازية الأمنية ، المبالغ فيها هذه المرة..

- «في أسرع وقت أريد تحليلًا مفصلاً للوضع على الأرض.. وخريطة جغرافية وزمنية لكل اسم متورط..»

أماء الجميع برأسه في جدية.. والمدير يعود للصمت، قبل أن يتطلع لوجوههم، قائلاً بلهجة أخيرة حازمة:

- «تستطيعون البداية..»

عندها انطلقت كل العناصر في تحليل ورصد كل معلومة تبدو أمامهم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يوجد منه نوعان، الأول ثنائي الطور، وهذا له قبضتان إحداها توضع عند الاستخدام تحت عظمة الترقوة اليمنى.. والثانية توضع فوق القلب مباشرة، أما النوع الثاني فهو أحادي الطور.. وله قبضة واحدة فقط.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



2 - القطار..

الثانية وأربع عشرة دقيقة صباحًا: ٠٢:١٤ AM

لحظة فارقة من عمر الزمن!.. شيء تشاهده - فقط - على شاشات السينما.. وأنت تأكل الفشار!.. أو تقرأه في رواية مسلية..

إما أن تعيشه على أرض الواقع!.. فهذا مستبعد لأقصى درجة!..

قطار معدني يظهر فجأة أمامك!.. وأنت غير مستعد.. ومُجهد..

لم يكن (طارق) يعرف أنه يملك تلك الجرأة بداخله.. أو حتى يستطيع التفكير في اللحظات الصعبة؟!..

فبمجرد أن لمح ذلك القطار السريع على بعد أمتار منه، أدرك - مباشرة - أن الطرق التقليدية لن تستطيع إنقاذه..

لن يستطيع القفز.. أو التعلق بشيء ما؟!.. تلك رفاهية بدت غير متاحة في تلك الثواني الحرجة..

لم يجد أمامه سوي التخلي عن الثلاجة التي في يده!.. ثم الانبطاح أرضًا.. بين القضيبين المعدنيين.. ليمر القطار عليه وسط تعالي الصرخات.. وصوت المكابح العنيف..

انهار (جاك) مُغمضًا عينيه في تأثر.. والقطار يمر بجواره، في لحظة انفعال ذروة، جعلت مطارديه - أنفسهم - يفلتان ذراعه..

مرت الثواني على الجميع كالدهر حتى توقف القطار.. وفجأة سادت همهمات تصاعدية على الرصيف الآخر.. أعقبها صوت تصفيق حماسي..

مما جعل العجوز (جاك) يمسح دموعه.. ويقف محاولاً تبين ما يجري..

التصفيق جعل كل المنتظرين على الجانب الآخر، بما فيهم رجال الأمن القومي، يتزاحمون من أجل إلقاء نظرة على الأحداث..

تاه العجوز بينهم.. لدرجة أنه استطاع الهرب..

لكن بدلاً من الفرار نحو مغادرة المحطة، عاد سريعًا.. ليصعد فوق سلم علوي يربط بين الرصيفين..

ليشاهد (طارق) محشورًا بين عجلات القطار.. ويكاد ينجح في تخليص نفسه..

دون وعي بدأ يصفق مع الجميع.. و(طارق) ينهض ملتقطًا الثلاثة.. ثم يُكمل رحلة عبوره للجانب الآخر..

مد له يده أكثر من رجل.. لمساعدته على الصعود..

وعندما صار فوق الرصيف، التف حوله العديد من الركاب تَربت على كتفه..

وتسأله تلك الأسئلة الوجودية:

- «لماذا فعلت هذا؟..»

- «هل كنت تنوي الانتحار؟.. ثم تراجعته..»

لم يسمع (طارق) كل هذا؟!.. وهو يخترق الصفوف مبتعدًا.. بعدما تركز كل انتباهه على أمرين؟.. الأول؛ رصد وضع مُطارديه.. والثاني؛ هو كيف السبيل للهرب؟..

لم يضع ثانية واحدة.. وأخذ يجري بطول الرصيف الموازي..

كان هناك قطار قد شارف على غلق أبوابه، لم يفكر (طارق) كثيرًا.. وقفز بداخله، خاصة عندما لمح أحد مطارديه قد نجح في رصد موقعه.. وملاحقته..

تعلقت العيون بشكل درامي.. و(طارق) ثابت على باب القطار يلهث، بينما الرجل الأمني ينطلق نحوه بكل سرعته.. وقد ارتسمت على وجهه علامات التحفز والغضب.. و...

وصل بالفعل..

لكن عند تلك اللحظة إياها؟.. التي يُجيد دائمًا إخراجها القدر!.. لحظة غلق الأبواب..

أخذ (طارق) يملأ صدره بالهواء في ارتياح.. والرجل يطرق على الباب الزجاجي في غضب..

والقطار يتحرك.. لكن في عكس اتجاه مدينة (تامبا)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية وسبع دقائق صباحًا: ٠٧:٠٢ AM

تم إغلاق آخر كيس على تلك الجثة، بمركز البحث التابع للبنتاجون، أمام أحد قادة أفرع القوات المسلحة الأمريكية..

قبل أن يقترب منه رجل يردد بحسم:

- «المكان عاد آمنًا يا سيدي..»

خلع القائد عن وجهه ذلك القناع الواقى.. متأملًا بتوتر شديد، الكم الهائل من الجثث المتراكم أمامه في عربة ضخمة.. أثناء تحركها..

سيطر رجال الجيش - كالعادة سريعًا - على الموقف، في اللحظة التي وصل فيها (توم) للموقع..

هبط من سيارته، يُلقي نظرة على عربة الجثث المُبتعدة.. وهو يقترب من القائد العسكري.. متسائلًا بلهجة لا يستطيع أحد وصفها:

- «كيف حدث هذا؟»

ضاقَت عينا القائد متممًا بمزيد من التوتر:

- «كارثة.. لن نستطيع تعويض ذلك الكم من الخبراء، إنهم صفوة عقولنا..»

تجمدت ملامح (توم) تمامًا.. وهو يستقبل عالم الفيروسات (شاؤول)، الذي قال بمجرد رؤيته:

- «حادث أليم..»

(توم) بحدة:

- «حادث؟»

تنهد (شاؤول) مضيئًا:

- «نعم.. لقد حاولت مساعدتهم، لكن الوقت كان قد فات..»

كاد (توم) يقول شيئًا ما، لكنه تراجع عندما اقترب منهم أحد الرجال يقول لقائده:

- «كل الكاميرات لم ترصد ما حدث.. آخر توقيت للتسجيل كان عند منتصف الليل بالضبط..»

القائد بحيرة:

- «كيف؟»

الرجل:

- «الكمبيوتر لم يسجل شيئًا..»

عاد (توم) يقول.. وهو يتطلع لـ (شاؤول) بتفحص:

- «ولماذا لا تفترض أن أحدًا قام بمسح ذلك الجزء؟..»

تبادل الجميع تلك النظرات الحائرة المُتشككة.. قبل أن يسأل الأخير ببراءة مستفزة:

- «ماذا تعني يا مستر (توم)؟»

القائد بحدة عصبية:

- «ما يهمني الآن استمرار البحث في أسرع وقت..»

(توم) بصرامة:

- «ليس قبل أن يشرح لنا البروفيسور (شاؤول) ما حدث..»

رسم الأخير علامات التأثر على وجهه.. قائلاً:

- «كُنت في معلمي أدرس البناء الجيني للسلح البيولوجي الذي أعطيتني إياه، وفجأة سمعت تلك الصرخة.. مما جعلني أترك الأمر.. وأتحرك لاستكشاف ما يحدث، فوجدت أحد أعضاء فريق البحث مُلقي على الأرض.. وقد تحطمت بجواره تلك العينة.. حاولت إنذار الجميع لتطبيق إجراءات العزل، لكن مع الأسف كان الوقت قد فات..»

- «وكيف نجوت؟»

(شاؤول) ببساطة:

- «أغلقت باب غرفتي..»

القائد:

- «وماذا عن الكمبيوتر.. كيف تبرر عدم تسجيله لما حدث؟»

مط (شاؤول) شفتيه.. محاولاً التفكير:

- «هل الأمر يتعلق ببداية العام الجديد.. وتوقيت الضبط؟..»

ران على الجميع الصمت للحظات.. قبل أن يقترب (توم) من (شاؤول) راسماً فوق وجهه علامات السخريّة الغامضة.. وهو يقول:

- «تلك الرواية لا تقنع طفلاً صغيراً..»

الأخير بهدوء مستفز:

- «الحقيقة دائماً هكذا.. قد لا يقبلها عقل..»

تبادل الاثنان نظرات التحدي.. قبل أن يتدخل القائد قائلاً:

- «المهم.. ماذا سنفعل الآن؟.. لابد أن يستمر العمل..»

(توم) بغموض.. وهو لا يزال ينظر لـ (شاؤول).. مُشيرًا إليه:
- «ليس أمامنا - طبعًا - سوى الاستعانة بأعضاء فريق البروفيسور، حتمًا هو جاهز لهذا الآن؟!.. أليس كذلك؟»
ضاقت عينا الأخير.. مرددًا بحسم:
- «لقد حدث هذا بالفعل!.. وقمت بالاتصال بهم.. الاستمرار في البحث لابد أن لا يتوقف تحت أي ظرف..»
وبالفعل لم يكد يُنهي عبارته، حتى دلف لردهة المركز.. فريق بحثي متكامل يرتدي زيًّا موحدًا..
اندفع بينهم يصافحهم.. ثم انتشر يحتل المكان؟!.. كأن كل فرد منهم يعرف جيدًا دوره وموقعه!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية وسبع عشرة دقيقة صباحًا: ٠٢:١٧ AM

عاد (توم) يصعد لعربته السوداء ذات الدفع الرباعي.. يجري ذلك الاتصال..
- «ما توقعته كان صحيحًا؟.. لقد قتل ذلك الوغد الجميع.. ونقل كل معلومات المركز للخارج..»
أجابه (توماس) الجانب الآخر من الاتصال.. بهدوء غير متوقع:
- «صار يسبقنا بخطوة..»

(توم) بثقة:

- «بالعكس.. نحن الذين نقوده الآن..»

- «كيف؟»

- «سنتركه يعتقد أنه متفوق.. حتى نستخدمه للوصول للجميع.. وعندئذ نقضي عليهم بضربة واحدة..»

وصمت لحظة يلتقط أنفاسه.. ثم أضاف:

- «لقد زرعت خوارزمية مضادة في الملفات التي تم نقلها.. بحيث لو فتحها أحد من أي مكان، تصلني إشارة أستطيع من خلالها تحديد موقعه..»

(توماس):

- «عظيم..»

(توم) بثقة:

- «اطمئن.. ستكون نهايتهم جميعًا الليلة..»
وأنهي المكالمة.. قبل أن يشرد عقله بعيدًا، غارقًا في بعض التفاصيل..
سأله السائق:

- «هل نتحرك يا سيدي..»
لكن قبل أن يُجيبه (توم).. عاد الهاتف يرن.. كان أحد رجاله.. فتح الخط وأخذ يستمع..

- «لقد خرجت الأحداث قليلًا عن مسارها فيما يخص ذلك المصري..»
(توم) بغضب:

- «مهمة تافهة كهذه لا تستطيعون إتمامها..»
الرجل بثبات:

- «الظروف تساعد دائمًا..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



3 - الرجل..

الثانية وعشر دقائق صباحًا: ٠٢:١٠ AM

أمطار طفيفة بدأت تتساقط مع بعض كرات الثلج الصغيرة.. وصقيع يغلف الأجواء، رغم ذلك، وقف (جورج) حارس (ويتمان) الأفريقي الأصل، يرمق ذلك الملف الأصفر بين يديه بحزن شديد.. ويتذكر كلمات سيده الأخيرة أول الليل.. - «إذا حدث أي شيء غير عادي الليلة.. أو أصابني مكروه.. تأكد أن يصل ذلك الملف إلى شخص اسمه (عمر لاشين)، العنوان ورقم صندوق البريد مكتوب على الظرف..»⁴

لم يكن يتخيل أن ذلك قد يحدث بتلك السرعة، بل لم يكن يتخيل أن يحدث أصلاً..

تذكر كيف ظل محافظًا على لقب الحارس الأول للرجل الحديدي (ويتمان) على مدار عشر سنوات، كان فيها بئر أسرارهِ العميق.. إنه الآن يشعر بالوحدة.. والغضب..

الغضب من نفسه لأنه لم يستطع حمايته.. رغم كل المؤشرات التي كانت تقول بوضوح أن هناك خطرًا ما يقترب من سيده.. كان عليه أن يكون يقظًا أكثر من هذا.

لقد قُتل (ويتمان) في غرفته بصمت، وهو يقف خارجها.. لن يسامح نفسه على هذا التقصير..

كم يشعر بالإهانة.. والرغبة في الانتقام..

تنهد بحرارة.. وعاد ينظر للظرف مفكرًا.. كيف سيُلبى رغبة سيده الأخيرة؟ هل ينتظر الصباح؟ أم يسعى لذلك الآن؟..

لم يفكر طويلاً..

فتلك الليلة غير صالحة للنوم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الواحدة وثمان وخمسون دقيقة صباحًا: ٠١:٥٨ AM

ظل (عمر) يهبط تلك السلالم الخلفية للمستشفى، بالسرعة التي تسمح بها حالته، حتى فجأة شعر بتلك الأقدام المُتعبة تقابله..

حينئذ.. توقف.. ودلف لأقرب غرفة إليه..
أخذ يسترق السمع.. وعندما شعر ببداية ابتعاد صوت الخطوات، دفعه
الفضول لمعرفة أصحابها..
فتح الباب.. ونظر من زاوية صغيرة..
كانوا ثلاثة من أفراد الأمن الداخلي للمستشفى يعانون من الفراغ.. ويفرطون
في الحماس لمطاردته..
يبدو أن تلك اللحظات - المثيرة - لا يعيشونها كثيرًا!
عند اختفائهم في أول منعطف.. كاد (عمر) أن يعود لنفس مسار هروبه، لكنه
استدار يتأمل الغرفة التي كان يقف فيها..
كانت غرفة مستلزمات طبية، تسمر في مكانه للحظات يفكر.. ثم قرر ذلك..
خلع عنه رداء المرض بصعوبة.. وارتدي الـ (scrap) الذي يُميز الأطباء، بعدها
لف حول رقبته تلك السماعة الجديدة..
وقبل خروجه لمح تلك السلة التي تمتلئ ببطاقات التعريف، انتقي منها واحدة
سريغًا تناسبه.. ثم علقها فوق جيبه الأيسر، ليصبح دكتور (جوزيف) أخصائي
القلب.
عاد يخرج.. لكن بدلًا من أن يستمر في الهبوط.. قرر بجراً أن يدلف
للمستشفى. كان يتحرك بهدوء، باحثًا عن المصعد..
لم يطل الأمر، حتى وجد أمامه أربعة مصاعد متجاورة. وقف يستدعي
أحدهم..
كان يقف على مقربة من الباب منفردًا.. وقد شارف المصعد على الحضور ،
هنا أتت طبيبة شابة، تحمل عددًا كبيرًا من الملفات تقف بجواره..
توقف المصعد.. وانفتح بابه.. ليندفع منه فرد أمن آخر متحمس..
كانت الطبيبة هي التي في وجهه مباشرة، صدمها.. مما تسبب في إسقاط
الملفات على الأرض..
شتت هذا انتباه فرد الأمن تمامًا.. فلم يهتم بالنظر لـ (عمر).
خاصة عندما انحنى الأخير يساعد الطبيبة في جمع ما سقط منها.. وفرد
الأمن يتجاوزهم متممًا:
- «عفوًا..»

تأمله (عمر).. وهو يتعد في حذر، قبل أن ينهض ويدلف للمصعد، عدلت
الطبيبة الملفات فوق يدها قائلة بامتنان:

- «شكرًا..»

اكتفي (عمر) بإمالة من رأسه.. والمصعد يأخذ طريقه نحو الهبوط..

قالت الطبيبة في تودد:

- «أنا لم أرك هنا من قبل..»

أعطاه (عمر) شبح ابتسامة.. قائلاً:

- «هذا أول يوم عمل..»

أماءت الطبيبة برأسها متممة:

- «سترتاح معنا.. المكان هنا هادئ.. ومنظم..»

بدا (عمر) كأنه لم يسمع شيئاً.. وهو يسألها:

- «أين أجد عربات طوارئ الإسعاف؟..»

أسرعت تقول:

- «جراج الدور الثاني..»

عندئذ ران الصمت بينهم.. حتى توقف المصعد بالدور الرابع..

قالت الطبيبة:

- «سأهبط هنا..»

أعطاه نفس شبح الابتسامة وهي تغادره، قبل أن يغلق المصعد من جديد..
ويُعاود الهبوط..

ضغط زر الدور الثاني.. والذي أتى سريعاً..

تحرك (عمر) بثقة قاصداً تلك الغرفة التي يتجمع فيها المُسعفين، كانوا خمسة
يضحكون.. ويشاهدون مباراة هوكي بحماس..

قبل أن ينهض كبيرهم، بمجرد أن لمح (عمر) يستقبله.. مردداً باحترام:

- «أهلاً يا دكتور..»

لوح (عمر) بيده محاولاً أن يقول ببساطة:

- «هناك حالة.. وأريد عربة إسعاف..»

قال المُسعف ببساطة:

- «أين أمر التحرك؟..»

(عمر):

- «هل لا بد أن يكون هناك واحد؟»

- «نعم.. لنعرف العنوان..»

- «أنا جديد هنا..»

المُسعف بدهشة:

- «هذه قواعد العمل في كل مستشفيات الولاية!.. يبدو أنك كنت تعمل في ولاية أخرى..»

- «بالضبط.. ولاية (جورجيا)..»

المسعف:

- «تبقي مشكلة العنوان..»

- «أنا أعرفه.. أقصد أذكره.. هل هذا يكفي؟.. أم لا بد من العودة للمستشفى لإحضار أمر التحرك..»

تأمله المُسعف للحظة متفحصًا.. ثم قال:

- «رغم أن هذا ضد القواعد، لكن.. نعم يكفي..»

ثم عاد لداخل الغرفة يلتقط مفتاحًا كبيرًا، قبل أن يصعد لسيارته مردفًا بتعاون:

- «ما طبيعة الحالة..»

(عمر):

- «أزمة.. أزمة قلبية..»

تحركت السيارة ببطء.. لتمر من أمام الأمن دون أن يلتفت لها أحد!.. بسبب ابتسامة ذلك المُسعف!..

وبسبب أنهم كانوا يبحثون عن شيء آخر؟!..

فالقاعدة هنا تقول أنك تستطيع تمرير فيل ضخم من أمام الجميع، دون أن يراه أحد!.. لو أنك - فقط - نجحت في تشتيت انتباههم..

إنها طبيعة الإنسان منذ الأزل.. لا يري سوي ما يبحث عنه!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية وواحد وعشرون دقيقة صباحًا: AM ٠٢:٢١

(جورج) حارس (ويتمان) الأفريقي الأصل من جديد، المختلف أنه سار في آلية نحو سيارة الأخير المصفحة.. ودلف إليها، غير عابئ بتلك الأمطار التي تصدم وجهه، قبل أن يضع ذلك الظرف الأصفر بجواره.. ثم يُشعل محركها..

في تلك اللحظة كان هناك سيارة أخرى من نفس الموديل الأمريكي الشهير، تقف على مقربة من المكان تراقبه..

فتح سائقها خط اتصال بمجرد رؤيته قائلاً بجمود:

- «لقد بدأ يتحرك يا سيدي.. نفس الشخص الذي كُنت تتوقعه!.. لم يصبر حتى الصباح..»

ضاقت عينا (كونر) مستشار الرئيس الأمريكي الأمني، الطرف الآخر من الاتصال.. مجيبًا باهتمام:

- «أريد أن أعرف وجهته.. ومَنْ سيقابل..»

على الفور بدأ أحد أفراد السيارة الأمنية، بربط الموقع الجغرافي بقمر صناعي للتتبع.. والسائق يضيف:

- «إنه يحمل ظرفًا كبيرًا..»

(كونر) بحدة:

- «أريد تلك الأوراق بأي ثمن.. مفهوم..»

- «نعم يا سيدي..»

ثم أنهى الاتصال.. والأخير يردف بتفكير مُحدثًا نفسه:

- «كنت أعرف أنك تركت شيئًا ما!.. كان هذا يبدو في عينيك..»

تحرك (جورج).. وتبعته عربة المراقبة عن بُعد..

قال أحد رجال السيارة الثلاثة بحذر:

- «لقد التحقت يومًا بكتيبة هذا الرجل، ليس سهلًا كما يبدو..»

السائق بتحفز ساخر:

- «سنعرف هذا قريبًا..»

لم يرق للرجل لهجة الاستخفاف التي تحدث بها زميله.. مضيئاً:

- «أخشي أن تعرف متأخرًا..»

اكتفى السائق بتلك الابتسامة الساخرة.. وظل يتبع عربة (جورج).. والذي كان يسير بسرعة بطيئة مريبة..

عاد الرجل يقول:

- «إنه يعرف..»

السائق بعصبية:

- «يعرف ماذا؟»

الرجل:

- «أنه مراقب..»

هنا فجأة.. وعند ظهور ذلك المنحنى، ازدادت سرعة سيارة (جورج) بَغْتَةً ، قبل أن يختفي من أمامهم..

ارتبك السائق.. وحاول اللحاق به، لكن ذلك الأمر تطلب منه نصف دقيقة تقريبًا.. حتى كشف الطريق..

ليجد سيارة (جورج) تنتظرهم واقفة!.. والأخير يطل من نافذتها العلوية، حاملاً فوق كتفه ذلك السلاح ذا الفوهة الواسعة..

صرخ الرجل بمجرد رؤيته..

- «هذا ليس جيداً..»

انطلق صاروخ من سلاح (جورج)، حاول السائق تفاديه بعصبية.. لكنه لم ينجح في ذلك..

فقد ضرب الصاروخ جانب السيارة المصفحة.. والتي أخذت تتقلب عدة مرات في الهواء، قبل أن تستقر مقلوبة على ظهرها..

عاد (جورج) يستكمل طريقه ببرود، حتى دون أن يطمئن على مصائرهم!.. في حين فتح السائق باب السيارة المقلوبة.. والثلاثة رجال يخرجون منها في عَجالة.. وهم في حالة مزرية.

قال الرجل الثالث.. وهو ما زال مُمسكاً بمسودة إلكترونية:

- «ما زال يظهر أمامي..»

أسرع السائق يقطع الطريق، محاولاً إيقاف تلك السيارة العابرة.. مُستخدمًا مسدسيه.. تسمر صاحب السيارة فوق مقعده.. والسائق يجره خارجها.. متسائلًا:

- «هل لديك تأمين عليها؟»

- «نعم..»

- «عظيم..»

واستمرت المطاردة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية وخمس وعشرون دقيقة صباحًا: ٠٢:٢٥ AM

- «هذا هو المبنى..»

توقفت سيارة الإسعاف، قبل أن يهبط المُسعف بصحة (عمر).. ساحبًا ذلك المقعد المتحرك.. ومُتجهًا نحو المصعد.

وقف الاثنان في صمت حتى انفتح الباب.. وسأل المُسعف:

- «سنصعد أي دور؟..»

(عمر) بحسم:

- «الأخير..»

دلف المُسعف للمصعد.. وسجل رقم الدور على اللوحة الداخلية، لكن قبل التحرك.. قال (عمر) فجأة:

- «ثوان.. وسأعود..»

وانطلق قاصدًا حمام الرجال. هز المُسعف رأسه في أسف، بلسان حال يقول:

- «إنه ليس الوقت المناسب..»

وعاد يخرج من المصعد.. ينتظر (عمر)، لكن الأخير طال غيابه..

طال أكثر من اللازم؟!..

مما دفع المُسعف لأن يطرق باب الحمام.. ثم يدخل ببطء، ليجد أن هناك بابًا آخر يفتح على الشارع مباشرة.. و....

ولا أثر لـ (عمر)..

لا أثر على الإطلاق..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



4 - الحصار..

الثانية وثلاث وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٢:٣٣ AM

تطلع (مارتن) بقلق.. للتحركات والكثافات الأمنية التي بدأت تتكون في الشارع، قبل أن يُسرع نحو الدكتور (صوفيا).. ويشرع في إيقاظها برفق.. فتحت عينيها تردد.. وهي تتساءل:

- «هل هناك جديد؟»

أشار نحو الشاشة التي تنقل ما يحدث بالخارج.. متممًا:

- «ما رأيك؟»

انتقل إليها القلق.. فاعتدلت تضيق:

- «إنهم يحاصرون المبنى..»

(مارتن):

- «هناك ما هو أسوأ..»

- «ما هو؟..»

عاد (مارتن) ينظر للشاشة.. مضيقًا:

- «إنهم يستعدون للصعود مرة أخرى..»

- «والحل؟»

- «لا أعرف.. سنتعامل تبعًا لمعطيات الموقف..»

وبالفعل لم يكذب ينهي عبارته، حتى اقتحم المبنى طاقم كامل من القوات الخاصة، وسط زحام المارة.. وبعض الصحفيين اللذين لا تعرف من أين أتوا..

- «هل هناك متفجرات؟..»

- «إرهاب؟..»

وأسئلة أخرى كثيرة انهالت عليهم.. أثناء الحركة..

لم يكن القائد يريد أن يصل الوضع لتلك الدرجة، لكنها أوامر رئيسه المباشر (توم).. والتي شددت على حسم النتائج، مهما كان الثمن..

ضاقت عينا (مارتن) بمزيد من القلق.. متابعًا ما يحدث.. قبل أن يقول:

- «هذا لا يدعو للارتياح.. يجب أن نحتاط لهم..»

وشرع - سريعًا - يُغلق البرامج الخاص به.. ويفصله عن شبكة الإنترنت.. ثم يطفى الأجهزة..

حتى قالت (صوفيا) بحدة:

- «هناك مصيبة أخرى.. لم تفكر فيها..»

- «ما هي؟..»

ابتسمت (صوفيا) بعصبية.. مضيفة:

- «(لولا)..»

توقف (مارتن).. ليضع يده على رأسه.. و(صوفيا) تستطرد:

- «ماذا ستفعل معها؟..»

(مارتن) بحيرة.. وعيناه تتابع صعود القوات عبر الشاشة:

- «لن نستطيع تركها خلفنا.. ستشي بنا..»

(صوفيا):

- «إنها الآن جثة لا تستطيع الحركة..»

انطلق (مارتن) نحو الثلجة، يجمع كل ما بها من ثلج.. ومياه باردة.. متمتمًا:

- «ليس هناك سوي طريقة واحدة مُجربة؟.. كنا نفعلها دائمًا مع أحد الأصدقاء عندما يثمل بشدة..»

وشرع يَكُب كل ما استطاع الحصول عليه من الثلجة.. فوق رأس (لولا)..

- «طريقة الصدمة..»

تلقت الأخيرة ذلك الكم من المياه الباردة والثلج فوق رأسها.. ووجهها..

فعادت للواقع فجأة.. تجلس فوق السرير..

وهي تكاد تفقد أنفاسها.. وتحرق في الوجوه المحيطة بها في رعب..

رغم صعوبة الموقف!.. لم تستطع (صوفيا) مقاومة ابتسامتها.. و(مارتن) يقول:

- «هل تستطيعين سماعي؟..»

وأخذ يحرك يده أمام وجهها، كانت عينا (لولا) شاخصة في الفراغ.. والرؤية مزدوجة..

- «يبدو أن وعيها لم يعد كاملاً..»

ساعدها (صوفيا) على النهوض.. وجرتها جرّاً، بينما عاد (مارتن) يتابع الموقف على الشاشة.

فوجد القائد هذه المرة قد قرر تفتيش الدور العلوي والسفلي لشقته الأصلية كبداية لتفتيش المبني كله، كان هذا تفكيراً منطقيّاً..

قال (مارتن) بإثارة:

- «تحياتي أيها الوغد.. لكنك ارتكبت خطأ واحداً.. لقد تركت دور الشقة الأصلية دون حراسة، اعتماداً على نتائج تفتيشك السابق.. وهذا خطأ كبير..»

ثم نظر لأجهزته.. نظرة أخيرة مستطردّاً بحزن:

- «وداعاً يا عزيزتي..»

وتحرك نحو المصعد الصغير الداخلي.. عائداً بسرعة لشقته العلوية.. في اللحظة التي بدأت فيها الطرقات على باب شقته السفلية..

وصل (مارتن) بصحبة (صوفيا) و(لولا).. الشقة العلوية، والتي حولها الاقتحام السابق إلى خراب..

تأملها (مارتن) بغضب.. وهو يتحرك بحذر نحو باب الخروج.. مردداً:

- «أيها الأوغاد..»

سألت (صوفيا):

- «ما الخطوة التالية؟»

أشار لها بأن تتبعه.. هامساً:

- «سنغادر المبني أمام أعينهم..»

لم تفهم ما يعنيه.. وهو يفتح باباً خاصاً بسلم الطوارئ.. في اللحظة التي سمع فيها انفجاراً مكتوماً يأتي من الأسفل..

كان هذا يعني بوضوح أنهم قد اقتحموا معمله..

انتفضت (لولا) رغم ترنحها!.. في حين ارتسم الفرع على وجه (صوفيا).. قائلة:

- «يجب أن نسرع..»

(مارتن) بغموض:

- «بقي شيء واحد فقط..»

وتركها ليكسر تلك النافذة الزجاجية على الحائط.. ثم يضغط ذلك الزر الأحمر الكبير.. والذي انطلقت من بعده صفارات إنذار الحريق.. تزعق في المبنى كله..

- «هذا جالب للفوضى..»

بعدها أسرع (مارتن) يساعد (صوفيا) في جعل (لولا) تهبط سريعًا. مختلطون بالناس الذين بدؤوا في الظهور عند كل دور يتجاوزونه..

تحول المبنى - فجأة - إلى سيرك كبير.. وصرخات مجهولة المصدر.. والكل يحاول الهروب من الجحيم القادم..

حتى مر الوقت.. ووصلوا للدور الثاني..

قال (مارتن) بحدة:

- «الجراج.. سأقابلكم خلف المبنى..»

- «لا تتركنا..»

- «يجب أن نفترق.. هذا أفضل..»

وأعطاهما ابتسامة سريعة.. ثم اختلط بالناس.. حتى وصل لباب المبنى الرئيسي.. لحظة وصول رجال الإطفاء..

والذين أصبغوا المشهد بالجدية الشديدة..

كانت كل التفاصيل تلعب لصالحه، خاصة عندما وجد تلك القبعة الرياضية تحت قدميه.. فالتقطها سريعًا.. ووضعها فوق رأسه..

بينما أحد رجال الإطفاء يحتك بذراعه.. فاكثفي (مارتن) بإعطائه تلك الابتسامة.. والإشارة التشجيعية السريعة.. ثم أكمل طريقه وسط الجُموع، حتى وجد نفسه يقف في منتصف الشارع.. ينظر لأعلى باحثًا عن الحريق!..

بعد ذلك تسلل بهدوء قاصدًا خلفية المبنى، لكن فجأة تسلل إلى أذنه ذلك الصوت البارد الذي يقول:

- «مستر (مارتن)..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الواحدة وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠١:٣٠ AM

جلست (ميراندا) أمام جهاز كمبيوتر من آخر جيل بمبنى الـ (FBI) بولاية (فلوريدا)، تتأهب.. وتتابع باهتمام شديد.. تلك المعلومات المتراسة أمامها، قبل أن يأتي ذلك الاتصال..

نظرت للهاتف تقول بعث - بعدما عرفت هوية المتصل - وهي تغلق ملفًا سريعًا:

- «لقد تأخرت كثيرًا..»

كان رئيسها المباشر (غوستاف).. الذي يقود سيارته على الطريق السريع. فتحت الخط تردد:

- «هاي..»

(غوستاف) يسأل مباشرة:

- «هل توصلت لشيء؟..»

(ميراندا).. وهي تهز رأسها بأسف.. وتنقل عينيها على الشاشة:

- «لا.. إنه حذر جدًا..»

وضغطت على زر أمامها في لوحة المفاتيح.. ثم استطردت:

- «هناك فقط أمر واحد..»

نفث (غوستاف) دخان سيجاره الذي لا يفارق فمه.. متسائلًا باهتمام:

- «ما هو؟»

- «إنهم يراقبون شخصًا ما..»

ضاقت عيناه..

- «مَنْ هو؟»

مطت (ميراندا) شفيتها.. مُجيبة:

- «لم أستطع تحديد أسماء.. لكن (توم) يتابع الأمر باهتمام شديد.. ويطلق عليه المصري..»

فكر (غوستاف) قليلًا..

- «المصري!!.. ليس مِنْ عادة (توم) أن يعمل في قضيتين معًا.. وهذا يعني بوضوح أن كل ما يفعله الآن له علاقة بالأحداث..»

وصمت لحظة.. ثم استطرد:

- «هل تستطيعين تحديد موقعهم؟»

- «ليس بعيدًا عنك..»

ثم ابتسمت في سخرية.. وهي تتناول بعض القهوة.. مُردفة في غموض:

- «بتلك السرعة التي تسير بها الآن.. تستطيع اللحاق في خلال ثلث ساعة..»

أدرك أنها ترصده.. فقال:

- «أنت تُتابعين إذن؟..»

اتسعت ابتسامته (ميراندا) بفخر.. قائلة:

- «إذا لم أتابع رئيسي المباشر.. فمن يستحق المتابعة؟..»

عاد (غوستاف) لمسار الحوار.. متسائلًا بغلظة:

- «لم تُخبريني عن الموقع..»

أجابت في ضيق:

- «محطة قطار مدينة (سانت بيتسبيرغ).. الساعة الثانية والنصف صباحًا..»

- «هل لديك صور؟»

- «لا.. هذا كل ما لدي..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



5 - المأزق..

الثانية وأربع وعشرون دقيقة صباحًا: ٠٢:٢٤ AM

لم يكن القطار الذي تحرك من مدينة (سانت بيتسبيرغ) قطارًا عاديًا، بل كان قطار نوم..

أدرك ذلك (طارق) بمجرد أن خرج من محطة وقوفه.. ولم يعد يبقي من حوله سوى شيئين، الهدوء الشديد.. والظلام بالخارج.. صار في ورطة حقيقية..

لقد فقد (جاك).. ركب القطار الخطأ.. لا يعرف إلى أين يتجه.. والأسوأ من ذلك كله، تم رصد موقعه.. إنه الآن كالفأر في المصيدة.. ولا يعرف ماذا ينتظره في المحطة القادمة..

تلقت حوله يبتسم في سخرية.. متممًا:

- «يبدو أنه قدرك!.. أن تكون وحيدًا في أي مكان تذهب إليه..»

كاد - حرفيًا - أن يسقط من التعب.. بعدما تخطي موعد نومه.

تحرك بحذر يبحث عن أي غرفة فارغة يحشر نفسه فيها. كان يقف أمام كل واحدة تقابله يسترق السمع.. حتى شعر بفراغ واحدة..

تلقت يمينًا ويسارًا.. ثم فتح بابها بحذر.. فلم يجد أحدًا..

أشعل الإضاءة.. اطمأن إلى فراغ الحمام.. قبل أن يغلق الباب بإحكام.. ثم يرتمي فوق تلك الأريكة الوحيدة بالمكان..

زفر بقوة.. شاردًا في الفراغ.. وظل هكذا لدقيقة كاملة، قبل أن يعتدل.. وينهض ليغسل وجهه..

عاد يجلس.. ويتصل بـ (مارتن) عدة مرات.. فلم يُجب..

وضع الهاتف في جيبه.. وفرك عينيه.. كان يريد النوم بشدة.. لكنه قاوم الفكرة..

تمتم قائلاً:

- «لا بد من قهوة..»

ترك ثلاثة الآجار في الغرفة.. وخرج يبحث عن أي مكان يوجد به كافيين..

لكن أثناء ما كان يتحرك في ذلك الممر الضيق، شعر فجأة بتلك اليد الثقيلة
توضع على كتفه.. وخوافة ينطق اسمه بسعادة:

- «(طارق)..»

انتفض الأخير.. واستدار ليجد العجوز (جاك) أمامه.. و.....
كانت لحظة ذروة..

تعانق الاثنان بقوة.. و(طارق) يربت على ظهره.. ويسأله بسعادة نادرًا ما
تُصييه:

- «كيف؟..»

العجوز (جاك) بلهجة الأطفال:

- «قفزت في آخر عربة.. في آخر لحظة..»

تأمل (طارق) بإعجاب ساخر.. وهو يتلفت حوله:

- «أخشى أن يكون أحد غيرك قد فعل ذلك..»

ضحك (جاك).. يردد:

- «سيكون من سوء حظه..»

ازداد إعجاب (طارق).. متسائلًا:

- «هل قابلت أحدًا يبيع الكافيين.. أثناء رحلة قدومك من مؤخرة القطار..»
(جاك):

- «نعم.. هناك مطعم.. يمتلئ بكثير من الأوغاد المتأنقين..»

ضحك (طارق).. ورافقه لمؤخرة القطار..

كان فعلاً.. هناك مطعم كبير.. تسوده الفوضى من آثار الاحتفال بليلة رأس
السنة. طلب بعض القهوة من شاب هادئ..

وجلس بجوار (جاك).. يتأمل الوجوه..

- «ما رأيك؟»

(طارق):

- «في ماذا؟»

- «وضعنا الحالي..»

رشف (طارق) القهوة.. ثم قال بحسم:
- «سنهبط المحطة القادمة..»
تنهد (جاك).. قائلاً بقلق.. وهو ينظر له:
- «أشعر أنهم سيكونون في انتظارنا..»
مط (طارق) شفثيه.. مضيئاً:
- «غير مُستبعد..»
- «والعمل؟..»
بدأ مفعول الكافيين يعمل في رأس (طارق).. فقال بنشوة:
- «بعد تناول القهوة سأخبرك..»
تراجع (جاك) في مقعده.. قائلاً بتعجب:
- «أنا أحسدك على ثباتك الانفعالي..»
- «لماذا؟..»
- «لأنني رجل عجوز ولا أستطيع منع نفسي من القلق، وأنت تصغرنى بأكثر من ثلاثين عامًا.. وتملك القدرة على الضحك والتعامل مع الموقف بسخريّة..»
ابتسم (طارق).. وهو يُنهي آخر رشفة من قهوته.. مضيئاً:
- «لا تدع المظاهر تخدعك.. أيضاً.....»
وفجأة بتر عبارته!.. عندما شاهد ذلك الوجه الصارم يدخل إلى المطعم..
انتقل القلق إلى (جاك).. يردد:
- «تلك النظرة أعرفها جيداً.. هل؟.....»
قاطعه (طارق).. بجمود:
- «نعم.. هناك شخص خلف ظهرك يتفحص الوجوه بفضول يدعو للقلق..»
(جاك) بلهجة رفض.. وهو لا يستطيع الالتفات لرؤيته:
- «هذا غير منطقي!.. لم يركب أحد القطار خلفنا.. أنا متأكد.. قد يكون ارتياك مبالغاً فيه..»
في تلك اللحظة.. التقت عينا (طارق) بالشخص الوافد للمطعم.. فتسمر مكانه.. وتوقف عن البحث، بعدما ارتسمت فوق شفثيه تلك الابتسامة

الظافرة..

ذهب للبار.. وجلس يرقبهم بحدة..

(طارق).. وهو يستعد للنهوض:

- «لقد تأكد الأمر..»

(جاك):

- «إلى أين؟»

- «الغرفة.. ستكون أكثر أمانًا من هنا..»

(جاك) باعتراض:

- «بالعكس.. وجودنا وسط الناس حماية لنا..»

حسم (طارق) الأمر.. قائلاً:

- «انظر حولك.. إنهم جميعًا في غيبوبة.. لو أسرعنا.. سنضع أمامه عائق معرفة رقم الغرفة، مما قد يعطينا بعض الوقت للتصرف..»

نهض (جاك) بعدم اقتناع.. وسار خلفه حتى باب المطعم.. ثم انطلقا بسرعة نحو مقدمة القطار..

الغريب أن الرجل لم يطاردهما.. حتى وصلا للغرفة..

دلف (طارق) إليها - أولاً - يلهث.. لكن مفاجأة غير سارة كانت في انتظاره..

رجل آخر بارد.. وفوهة مسدس مصوبة لوجهه..

تسمر في مكانه.. لا يدري ماذا يفعل..

ظهر (جاك).. فأشار لهما الرجل في برود بأن يتقدما.. كانت المسافة قصيرة.. ولا مجال يسمح بالمناورة، لذلك دلف (طارق) للغرفة باستسلام.. بصحبة (جاك) الذي وجد السخريه ليقول:

- «الغرفة أكثر أمانًا!.. أليس كذلك؟»

قبل أن يقول (طارق) أي شيء، لحق بهم الرجل الأول الذي خلفاه بالمطعم.. يتمتم:

- «هاي..»

أدرك الأخير حينئذ.. لماذا لم يطاردهم..

لكن ظل هناك العديد من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة، أولها مَنْ هؤلاء ؟.. وكيف صاروا في القطار.. وقد ركبه عشوائيًا؟!..

لم يعرف أن (توم) تواصل مع رجاله.. وعرف بالصدفة أن هناك رجلين على متن القطار نفسه.. فقام بتكليفهم بالمهمة..

جلس الأول يخلع قبعته يقول بسخرية تختلط بالدهشة:

- «الغريب أن مستر (توم) قد حذرنا تمامًا منكم!!.. بل ووصفكم بأنكم على أعلى درجة من الخطورة..»

ثم أخذ يضحك بشدة.. شاركه الثاني الضحك.. في حين نظر (طارق) لـ (جاك).. فيما يعني بأن يستعد..

والسؤال هنا.. يستعد لماذا؟

لم يغب الرد.. فقد فتح (طارق) فجأة شباك الغرفة.. الذي كان على سنتيمترات من يده.. فاندفع الهواء البارد يلفح الجميع..

في اللحظة التي رفع فيها تلك المنضدة الصغيرة المعدن.. وجعلها حائلًا بينه وبين الرجل الذي يحمل المسدس.. والذي سقط منه على الأرض.. قبل أن يدفعه (طارق) بقدمه ليصير تحت الأريكة..

حاول الرجل الثاني انتزاع مسدسه، لحسم الصراع.. لكن العجوز (جاك) رمي جسده الثقيل عليه.. ومنعه من ذلك..

لم يضع (طارق) ثانية إضافية.. فقد استغل تركيز الرجل الذهني في استعادة مسدسه.. وقذفه بالأريكة نحو وجهه..

دار رأس الرجل.. واختل توازنه.. قبل أن يتعلق (طارق) بحاجز شباك الغرفة بكلتا يديه.. ويطوح بقدمه نحو رأسه..

كانت الضربة قوية.. وأسقطت الرجل.. لكنه لم يفقد الوعي..

فعاد (طارق) يلتقط المنضدة المعدن.. وأخذ يضربه بها حتى استكان جسده تمامًا.. بعدها استدار سريعًا لمساعدة (جاك)..

لكن الأخير كان قد فقد الوعي إثر لكمة ساحقة من الرجل الثاني.. والذي بمجرد أن انتهى منه، اشتبك مع (طارق) مباشرة..

كان قوي البنية..

تجاوز جسد العجوز (جاك) برشاقة، محاولاً توجيه لكمة لوجه (طارق)، نجح في تفاديها بصعوبة..

لكنه لم ينج من الثانية.. والتي أصابت فكه.. أسرع مما يتوقع!!.. أعقبها أخرى قوية في أحشائه.. وأخرى في أنفه..

لم يكن (طارق) في احتياج إلا للكلمة الأخيرة، بعدها سيصاب بارتجاج في المخ؟.. لذا استجمع بقايا إرادته.. ورغبته الإنسانية في البقاء.. ووجه تلك الكلمة الصاعدة اليميني لفك الرجل السفلي..

جعلت الكلمة الرجل - فعلاً - يتراجع قليلاً للخلف، قبل أن يعود.. ويتملكه الغضب.. ويمسك ملابس (طارق).. متممًا بعصبية شديدة:

- «لا أحد يفعل هذا معي..»

وقرر عصيان أوامر (توم).. وإلقائه من النافذة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الواحدة وتسع وخمسون دقيقة صباحًا: ٠١:٥٩ AM

وصل (غوستاف) لمحطة قطار مدينة (سانت بيتسبيرغ).. وأخذ يمسح كل ركن فيها بهدوء، باحثًا عن أي أثر لأي شيء غير عادي.. لم يجد..

نظر لساعة المحطة.. كانت تُشير إلى الثانية وخمس دقائق.. الوقت ما زال مبكرًا على موعد الذروة، الذي أخبرته به مساعدته (ميراندا)..

عاد يتأمل المكان.. باحثًا عن موقع يُتيح له مراقبة أكبر مساحة ممكنة، دون أن يلاحظ وجوده أحد..

حتى قرر اختيار كافيته في الدور الثاني بمقدمة المحطة. صعد ليجلس بجوار تلك النافذة الزجاجية القاتمة..

وأخذ يراقب ببرود.. بعدما طلب قهوة.. وأشعل سيجارًا آخر..

حتى مر الوقت..

وفجأة شاهد (طارق) يجري نحو مؤخرة المحطة برفقة العجوز (جاك).. ويحاول عبور الرصيف للجانب الآخر..

ضاقت عيناه (غوستاف) متممًا:

- «إنه رجلنا..»

عندئذ طوح السيجار من يده.. وهبط بسرعة شديدة، لا تتناسب مع حجم جسده.. يحاول اللحاق بالمطاردة..

أثناء هبوطه.. تصاعدت الأحداث.. وشاهد (طارق) عبر أحد النوافذ الأرضية للكافيه، يقفز لذلك القطار.. وشخص يلاحقه بعناد..
كان (غوستاف) أقرب ما يكون لأول عربة بعد القاطرة مباشرة..
ودون تردد قفز إليها.. و.....
صار داخل القطار..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية وتسع وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٢:٣٩ AM
قاوم (طارق) بشدة.. محاولة حمله.. وإلقائه من النافذة، لكن الرجل قوي البنية كبل يده.. ودفعه بالقوة حتى خرجت رأسه للفراغ..
فلم يجد (طارق) أمامه سبيلاً سوى التمسك بملابس الرجل.. والذي حاول جاهداً إلقاءه خارج القطار..
وكاد فعلاً أن ينجح.. لولا ظهور (غوستاف) فجأة داخل الغرفة.. والذي لف ذراعه حول عنق الرجل من الخلف.. ودفع رأسه للأمام بيده الأخرى..
كانت حركة فنية.. أفقدت الرجل الوعي في أقل من أربعين ثانية.. بعدها مد (غوستاف) يده يغلق النافذة.. ثم ساعد (طارق) على الجلوس..
كان الأخير يلهث بشدة.. ووجهه غارق بالدماء..
أحضر (غوستاف) له منشفة مبللة بالماء.. وتركه يلتقط أنفاسه قبل أن يسأل:
- «أنت ذلك المصري؟»

بصق (طارق) بعض الدماء.. وهو يمسح وجهه متمماً بسخرية:

- «هل صرت مشهوراً لتلك الدرجة؟»

جلس (غوستاف) أمامه.. يقول بحذر:

- «ليس هناك وقت لنضيعه.. لماذا يبحث عنك (توم)؟»

- «تستطيع أن تسأله بنفسك ذلك السؤال..»

زفر (غوستاف).. قائلاً:

- «لاحظ أنني أنقذت حياتك منذ قليل..»

(طارق) بمزید من السخرية:

- «أنت من الخيار إذن؟!»

ارتسمت علامات الغضب على وجه (غوستاف).. وران الصمت بينهم للحظات.. قبل أن يستطرد (طارق) قائلاً:

- «الساعات الأخيرة التي قضيتها في بلادكم، جعلتني لا أستطيع الثقة في أحد بسهولة..»

تراجع (غوستاف).. متسائلاً:

- «ماذا تريد من ضمانات؟..»

(طارق):

- «مَنْ أنت أولاً؟..»

قدم له نفسه - سريعاً - ببساطة.. قبل أن تتسع ابتسامة (طارق) الساخرة قائلاً:

- «أنت إذاً ذلك المُحقق الطيب الذي سيساعد البطل حتى يصل للحقيقة..»

راقت العبارة لـ (غوستاف).. مُجيباً:

- «يبدو أنك تشاهد أفلاماً أمريكية كثيراً!!!.. لو أن ذلك يُريحك.. تستطيع أن تعتبرني هكذا..»

عاد الصمت للحظات.. قبل أن يقول (طارق) بتفكير:

- «رغم أن شكلك لا يوحي بالثقة، لكنني لا أملك رفاهية الرفض.. أو حتى المناورة، أنت الآن تسيطر على الوضع.. ماذا تريد أن تعرف؟..»

(غوستاف):

- «كل شيء.. كل شيء تعرفه..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية وتسع وعشرون دقيقة صباحاً: ٠٢:٢٩ AM

وضع أحد الأفراد.. تقريراً صغيراً أمام مدير جهاز الـ (CIA).. والذي قرأه الرجل في عُجالة.. قبل أن يقول:

- «هؤلاء أعضاء فريق بحث مركز الطواهر..»

- «نعم يا سيدي..»

ضاقت عينا المدير.. متسائلاً:

- «وَمَنْ ذَلِكَ المصري؟»
- «إنه قريب رئيس الفريق.. وقد حضر اليوم من القاهرة لقضاء إجازة.. بناء على دعوة رسمية..»
- المدير بحيرة:
- «وما علاقته بالأحداث..»
- الرجل بهدوء:
- «لقد تورط فيها يا سيدى..»
- صمت المدير ثواني.. قبل أن يضيف:
- «أريد تقريرًا مُفصلاً عن موقع كل واحد منهم..»
- «ذلك يحدث الآن..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



6 - السقوط..

الثانية وأربع وأربعون دقيقة صباحًا: ٠٢:٤٤ AM
الأمطار بدأت تزداد حدة.. حاول الجنرال (توماس) النوم قليلًا، لكنه لم يستطع، كلما تخيل تفاصيل ما يحدث الآن بالخارج.. وما قد تفرزه من نتائج.. لا تغمض عيناه..

رن الهاتف.. نظر لهوية المتصل.. كان رئيس الجمعية..

فتح الخط يقول بصرامة ساخرة:

- «يبدو أنك مصاص دماء.. لا تستيقظ إلا ليلاً..»

أجابه الرجل ببرود.. بعد لحظة صمت:

- «جنرال (توماس).. أرجو أن أكون غير مزعج..»

أجابه الأخير بوقاحة:

- «تعرف أنك كذلك!.. ماذا تريد؟»

تجاهل الرجل الإهانة.. متممًا:

- «أعتقد أن العلاقة بيننا كانت أرقى من ذلك..»

- «كانت؟!.. قبل أن تضع يدك في المكان الخطأ!.. حينئذ لا تتوقع إلا أن يُغلق أحدهم الباب على أصابعك..»

ابتسم مدير الجمعية.. مضيئًا بمزيد من البرود المستفز:

- «يبدو أن خيالك واسع يا جنرال (توماس).. يبدو أيضًا أنك ما زلت غاضبًا..

الزمن كفيل بتمرير كل شيء.. وفي النهاية ستدرك كم نقدر رجالنا..»

(توماس) بنفاد صبر:

- «ماذا تريد؟»

- «التحدث مع (بنيامين)..»

نهض (توماس) يجلس فوق السرير.. مرددًا:

- «وما علاقتي بالأمر؟..»

- «تليفونه غير متاح.. وهذا ليس من عاداته..»

- «وماذا تريدني أن أفعل؟..»

- «الاطمئنان عليه..»

(توماس) بعصبية:

- «يبدو أنه تأخر في إعطائك التقرير الليلي..»

- «لا تقل هذا مستر (توماس)..»

الآخر بانفجار:

- «ليس لتلك الدرجة.. تقتحمون خصوصيتي، أنا لن أذهب لإيقاظ مدير المنزل الساعة الثالثة صباحًا، كي أخبره أن مَنْ يتجسس على يريد الاطمئنان عليك!!..»

- «أنت عصبي يا مستر (توماس)..»

- «وأنت بارد أكثر من اللازم..»

ثم أغلق الخط..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية وخمس وأربعون دقيقة صباحًا: ٠٢:٤٥ AM

انتفض (مارتن) بمجرد سماع اسمه يتردد بالخلف.. وكاد يهرب، لولا أن شعر بالألفة تجاه الصوت..

استدار فوجد (عمر) يقف شاحبًا.. وتبدو على وجهه علامات الإرهاق..

- «مستر (عمر)..»

قال الأخير.. وهو يتلفت حوله بحذر:

- «تعال معي..»

تبعه (مارتن) حتى وصل لعربة الإسعاف..

- «اركب..»

صعد (مارتن) يقول بلهفة:

- «(صوفيا) خلف المبنى..»

تحرك (عمر) بالسيارة في صعوبة.. بسبب جرح كتفه.. وبسبب عدم قدرته على القيادة ليلًا دون نظارته الخاصة..

لاحظ ذلك (مارتن).. فعرض المساعدة مردفًا:

- «تستطيع أن تترك لي القيادة..»

تجاهل (عمر) عبارته.. وتحرك بالسيارة.. متسائلًا:

- «أين (طارق)؟»

(مارتن):

- «(سانت بيتسبيرغ)..»

ضاقت عينا (عمر) بدهشة.. متسائلًا:

- «ماذا يفعل هناك؟»

- «تلك قصة طويلة..»

في تلك اللحظة.. ظهرت (صوفيا) و(لولا).. فأشار (مارتن) له بأن يتوقف ،
قبل أن يهبط في عَجالة.. ويفتح الباب الخلفي لسيارة الإسعاف.. متممًا:

- «هيا.. بسرعة..»

نامت (لولا) على أنها حالة يتم نقلها.. و(صوفيا) تسأل بقلق:

- «ما الذي يحدث؟»

(مارتن).. وهو يُشير نحو السائق بسعادة:

- «اطمئني.. إنه مستر (عمر)..»

هبط (مارتن) عائدًا لموقعه في المقعد الأمامي.. بينما تحركت (صوفيا) تنظر
عبر النافذة الداخلية للعربة.. قائلة بارتياح:

- «أري أنك قد تحولت لطبيب!..»

تحرك (عمر) بالسيارة ببطء.. متسائلًا:

- «مَن تلك الفتاة؟»

(مارتن) بمرح:

- «صديقة مستر (طارق)..»

ثم أخذ يروي كل ما فاتته من أحداث..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية وخمس وأربعون دقيقة صباحًا: ٠٢:٤٥ AM

- «اللعة..»

كلمة قالها (توم) لقائد رجاله، بمجرد أن عرف بأمر هروب (مارتن) و(صوفيا)..
وشأن الشقة - المعمل - التي كانت أمام أعينهم طيلة الوقت، دون اكتشاف..

- «أغبياء.. أغبياء.. كان لا بد من توقع هذا!..»

صمت القائد.. حتى تمالك (توم) أعصابه.. واسترد بعض هدوئه..
مستطرد:

- «واضح أنهم ما زالوا يعملون في القضية.. افتح تلك الأجهزة التي وجدتها..
أريد أن أعرف إلى أي مرحلة قد وصلوا..»

القائد:

- «هذا ما يحدث الآن..»

أغلق (توم) الخط بعصية.. وسند بكلتا يديه على المكتب يفكر.. كان في حالة
إرهاق شديد، ارتمي على المقعد الذي خلفه.. قبل أن يُخرج تلك الزجاجة
الصغيرة من جيبه العلوي.. ويفرد القليل من مسحوق أبيض كان بها أمامه
على المكتب..

الكوكابين⁵!..

استنشق بعضًا منه، قبل أن يعتدل.. ويأخذ نفسًا عميقًا.. ويسترخي قليلًا..

- «الأمور تنفلت منك أكثر من اللازم..»

كان قد عرف تَوًّا بشأن هروب (عمر)..

- «أنت تحارب في عدة جبهات.. وهذا يستنزف قواك وتركيزك..»

نهض يفكر..

- «إنهم يريدون التّجمع.. لماذا تقاوم ذلك؟.. لماذا لا تجعلهم يلتقون؟!.. هذا
حتمًا سيوفر الوقت في اصطيادهم..»

ضغط زر استدعاء.. فدلف أحد رجاله..

- «أريد الدكتور (بان)..»

مرت بعض الدقائق.. حتى ظهر الأخير يبدو مدعورًا كعادته!.. التفت إليه (توم)
يقول بحسم:

- «هناك مهمة تنتظرك..»

الثانية وواحد وخمسون دقيقة صباحًا: ٠٢:٥١ AM

انطلقت مساحات سيارة حارس (ويتمان) (جورج) تُزيل الأمطار التي تصدم الزجاج الأمامي.. وهو يسير فوق أرض غير ممهدة.. مقترَّبًا من خليج المكسيك..

كانت الأجواء صامتة.. وتكاد تكون مخيفة.. خاصة مع ذلك البرق والرعد الذي كان يضرب المنطقة كل برهة..

توقف (جورج).. ودس ظرف الأوراق داخل ملابسه ليحميه من البلل.. ثم هبط من السيارة، غير عابئ بتلك الأمطار التي كانت تهطل بشدة..

أخذ يقرأ أرقام صناديق البريد التي تقابله، بطول صف الفيلات المُطلّة على الخليج، حتى توقف أمام صندوق بريد (عمر لاشين)..

فتح رف الصندوق.. وكاد يدس الظرف فيه.. وينتهي الأمر، لكن شيئًا ما بداخله منعه من ذلك؟!..

ربما غريزة الشعور بالخطر.. هي التي جعلته يفعل ذلك.. أو تلك الحركة التي سمعها تبدر من خلفه..

استدار بحدة يتطلع لمصدرها.. فلم يجد شيئًا؟!..

تقدم عدة خطوات.. لتأكيد الأمر بداخله.. لكن ظل ينتظره الفراغ..

عندئذ استرخى.. وقرر العودة لسيارته.. كما قرر أيضًا تسليم الأوراق لـ (عمر) شخصيًا.. وعندما أصبح على بعد متر واحد منها، أصابت صدره تلك الرصاصة الغادرة الصامتة..

كان (جورج) قويًّا.. ومعتادًا على تلقي الرصاص؛ لذا استطاع في ثانية، تحديد مصدر الرصاصة.. وتفادي الثانية التي صدمت جسد السيارة المصفحة بشكل مخيف..

دار (جورج) حول مقدمتها سريعًا.. ليحتمي من أعدائه.. ويُخرج مسدسه..

بدأت الدماء تبلل ملابسه.. ويشعر بضيق في التنفس..

- «أيها الأوغاد.. لن يكون ذلك سهلًا..»

وبشكل انتحاري.. طل برأسه.. وفتح باب السيارة ليدلف إليها، كلفه ذلك رصاصة أخرى احتكت بعنقه..

تحملها (جورج) بقوة.. وبدأ يُدير مقود السيارة، محاولًا الابتعاد. استجاب الموتور له.. لكن السيارة لم تتحرك من مكانها..

ضغط دواسة البنزين بعنف، لدرجة أن العجلات حفرت الأرض!.. لكن السيارة ظلت عاجزة عن الحركة من مكانها؟!..

لم يدر أن هناك كلبشًا تم تعليقه في عجلتها الخلفية.. ومع وجوده، لن تسير العربة.. أوقف الموتور.. وأخذ يبحث عن مسدس الإشارة..

فتح سقف العربة.. وأطلق ذلك الخرطوش.. ليضيء السماء.. ويستطيع تحديد موقع مُطارديه..

أثناء ذلك.. قام بتجهيز قذيفة مدفع أخيرة.. كانت هي كل ما لديه..

وظل يرقب هبوط الخرطوش المضيء ببطء وسط مياه الأمطار.. حتى لمح تلك السيارة البعيدة..

عندئذ.. خاطر مرة أخرى.. وطل برأسه.. مُطلقًا تلك القذيفة..

شق الصاروخ الصغير.. طريقه بدقة وإصرار.. مُستهدفًا السيارة.. التي انفجرت مباشرة..

تنهد (جورج) بارتياح.. والتقط مسدسه.. وعاد يهبط من السيارة بحذر.. ليكتشف الكلبش سبب عدم حركتها..

- «أنتم قرييون إذن؟» -

حاول تحطيمه برصاصة من مسدسه، لكن ذلك بدا صعبًا من تلك الزاوية.. كان لا بد أن يلتف، مما قد يجعله هدفًا سهلًا..

عند تلك اللحظة أصابته رصاصة أخرى في كتفه.. تأوه بشده.. وعاد يحتمي بجسد السيارة..

بعدما أدرك أن مُطارديه.. يرتدون منظارًا للرؤية الليلية..

أدرك أيضًا أنه لو ظل مكانه.. سينتهى..

استجمع كل بقايا قواه الداخلية.. وقرر فعل ذلك.. أطلق خرطوشًا آخر يضيء السماء.. في اللحظة التي اندفع فيها نحو منطقة الفيلات بكل سرعته..

بدا ذلك جحيماً أمام أعين مُطارديه.. مما جعلهم يغمضون أعينهم لثوان.. هي كل ما احتاجه (جورج) ليختفي من أمامهم..

انتهى تأثير الضوء.. وسائق السيارة الذي كان يبدو رئيسهم يقول بحسم:

- «لقد رأيته يذهب نحو الفيلات..»

سمع رفيقاه ذلك عبر دائرة محدودة بينهم من الاتصال.. قبل أن يغادروا أماكنهم.. ويلاحقوه في حذر..

أشار السائق إلى أحد رجاله لتنفيذ أمر ما.. وهو يومئ بسبابته إلى الالتفاف في صمت لمحاصرته..

ذهب كل واحد منهم في اتجاه.. وأخذوا يمشطون المنطقة باحتراف.. حتى ظهر (جورج) لثلاثهم فجأة.. وطوق عنقه..

حاول الرجل التملص.. لكن الأخير كان قويًا بما يكفي ليسيطر على الموقف.. دام الصراع بينهم لثوان معدودة.. والذي انتهى بسقوط الرجل..

وضعه (جورج) على الأرض بهدوء.. وأخذ منه سماعة الاتصال.. ووضعها على أذنه.. فسمع السائق يقول بروتينية:

- «هل توصل أحد لشيء؟..»

أجاب الرجل الثاني بالنفي.. وانتظر الجميع صوت رفيقهم الثالث.. لكنه لم يأت..

ضاقت عينا السائق يردد بحذر:

- «صقر ثلاثة.. ما الوقف عندك..»

أجابه الصمت.. عندئذ قال السائق بحسم:

- «لقد سقط..»

ثم خلع السماعة عن أذنه.. وانطلق - مسرعًا - نحو المنطقة التي كان يستكشفها رفيقه.. مُشهرًا مسدسه.. وجده مُلقى على الأرض.. فحص وريده العنقي.. وبعدما اطمئن إلى أنه ما زال حيًا.. اعتدل يقول:

- «أعرف أنك هنا..»

تحرك أكثر نحو الأمام.. مرددًا بغرور:

- «لو استسلمت.. أعدك أن أقتلك سريعًا..»

وظل يتقدم.. حتى طار المسدس فجأة من يده.. قبل أن يتلقى لكمة قوية في فكه، جعلته يرتطم بحائط خلفه..

استعاد السائق توازنه بسرعة تليق برجل عمليات خاصة.. محاولاً ضرب (جورج).. لكن الأخير تراجع للخلف، متفاديًا الضربة..

ثم ركله في صدره.. فعاد السائق يرتطم بنفسه الحائط، لكن بقوة أشد..
حينئذ ظهر الرجل الثاني.. وطوق (جورج) من الخلف.. فانتهر السائق ذلك..
وأُسرع يبحث عن مسدسه..
ودون تردد أطلق رصاصة نحو رُكبة ذلك الأخير.. فتوقف الصراع.. وتركه
الرجل الثاني يسقط بينهم..
ران الصمت.. إلا من صوت المطر.. واستلقي (جورج) على ظهره، محاولاً
التماسك.. والمياه تصدم وجهه..
صوب السائق المسدس نحو رأسه.. وكاد يطلق الرصاص، لكن الرجل الثاني
منعه.. قائلاً بحسم:

- «لا تقتله..»

السائق بدهشة:

- «إنها الأوامر..»

- «ليس قبل الحصول على الظرف..»

تراجع السائق بعدم اقتناع..

- «معك حق..»

انحني الرجل الثاني.. يفتش ملابسه.. فلم يجد شيئاً..

- «أين الظرف؟..»

(جورج) بإنهاك:

- «أنا لا أعرف عن ماذا تتحدث..»

شعر السائق بالغيظ.. وعاد يُشهر نحوه المسدس.. مردداً:

- «ربما في السيارة..»

نهض الرجل الثاني.. وعاد للسيارة - سريعاً - يفتشها جيداً.. قبل أن يظهر
مجدداً قائلاً:

- «خالية..»

- «متأكد؟..»

- «نعم..»

ركل السائق.. (جورج) بقدمه في رأسه بعنف.. قائلاً بحدة:

- «أين الأوراق..»

أجابه الأخير بلهجة أخيرة:

- «فلتذهب إلى الجحيم..»

ثم غاب عن الوعي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



7 - الجريمة..

الثانية وتسع وخمسون دقيقة صباحًا: ٠٢:٥٩ AM
هطلت الأمطار بالخارج.. تضرب ذلك الزجاج، لتعطي تلك اللمسة الأخيرة
على ذلك المشهد الذي يدعو للتوتر..

بروفيسور طب شرعي جنائي؟!.. ينظر لعينة دماء تم أخذها من جسد
السيناتور (ويتمان).. ومن أمامه يقف ذلك المُحقق..

- «هل هناك جديد؟»

رفع البروفيسور عينيه عن الميكروسكوب.. يردد بشرود:

- «آه..»

نفث المحقق دخان سيجارته في أجواء الغرفة.. مكرّرًا السؤال بإرهاق:

- «هل هناك شبهة جنائية في وفاة الرجل..»

سعل البروفيسور بشدة.. قائلاً وهو يتعد:

- «التدخين ممنوع هنا..»

كان البروفيسور أصلع الرأس تمامًا، يحمل نظارة سميقة تأكل نصف وجهه ،
يتحرك كثيرًا بين أركان المعمل.. أخيرًا عيون حادة غير مستقرة..

لاحقه المُحقق دون أن يتوقف عن التدخين.. مردفًا:

- «لم تُجب عن السؤال..»

عاد البروفيسور لجثة (ويتمان).. يُشير نحو رقبتها.. قائلاً باهتمام توجسي ،
متجاهلاً دخان السيجارة الذي اقتحم وجهه:

- «هناك كدمة صغيرة بالعنق، تكاد تكون غير ملحوظة..»

المُحقق:

- «وماذا يعني هذا؟..»

نظر البروفيسور له باستياء.. مجيبًا:

- «ذلك آثار محقن صغير.. تم حقن (ويتمان) به مباشرة قبل وفاته..»

ضاقت عينا المُحقق.. والبروفيسور يستطرد بشرود:

- «المشكلة أن دماءه خالية من أي عقاقير طبية أو غيرها!..»

المحقق بحيرة:

- «ما سبب الوفاة إذن؟!..»

- «أزمة قلبية. تحليل الإنزيمات يقول ذلك. لكن بعد فحص القلب تبين أنه لا يوجد ما يدعو لتلك الأزمة القلبية!.. الشرايين لا يوجد بها أي قصور أو جلطات.. وكانت تعمل لحظة الوفاة بأعلى كفاءة ممكنة..»

تمتم المحقق بصوت عالٍ.. محاولاً فهم ما يقول:

- «تعني أن هناك أزمة قلبية.. دون أن يكون هناك سبب مُقنع لها..»

- «نعم..»

- «وهل هذا ممكن علميًا؟!..»

أصاب البروفيسور التوتر غير المبرر.. مُجيبًا:

- «من الصعب حسم الأمر!.. هذا يحتاج إلى وقت..»

ران الصمت لبرهة.. قبل أن يعود المحقق يقول بلهجة أخيرة:

- «لو توصلت لشيء.. أريد أن أعرف أولًا..»

ثم تحرك مُغادرًا قاعة التشريح.. لكن عند وصوله للباب.. سمع البروفيسور يردف بتوتر:

- «انتظر..»

كانت تلك الكلمة.. واللهجة التي تُطقت بها تعني الكثير؟!.. استدار المُحقق ينظر له في فضول غامض.. والبروفيسور يستطرد بحسم:

- «هناك أمر لا بد أن تعرفه..»

عاد المحقق..

- «ما هو؟!..»

همس البروفيسور.. ملتفتًا حوله بحذر زائد:

- «عقار؟!.. عقار يعطي تلك النتيجة.. ويختفي من الدماء سريعًا..»

رمي المحقق بقايا سيجارته على الأرض.. ودهسها بقدمه.. متسائلًا بشيء من العصبية:

- «ولماذا لم تخبرني بهذا منذ البداية؟..»

ازدرد البروفيسور لعبه في توتر.. مجيئًا:

- «لأن ذلك العقار غير متداول.. ومن الصعب أن يحصل عليه أحد..»

المحقق:

- «عبارة غير مفهومة!..»

البروفيسور:

- «يتردد أنه سلاح أمني.. لا تستخدمه إلا بعض الأجهزة السيادية..»

عاد الصمت بينهم.. والمحقق يتحرك بالغرفة يفكر، قبل أن يُخرج سيجارة أخرى ويشعلها.. مغمغمًا:

- «تقصد أن التخلص من (ويتمان)، جاء عن طريق أشخاص في الداخل؟..»

فزع البروفيسور من الفكرة.. قائلاً:

- «لا.. أنا لم أقل هذا..»

هز المحقق رأسه.. مضيقًا بشروء:

- «بالعكس.. كل التفاصيل تقول ذلك..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وسبع دقائق صباحًا: ٠٣:٠٧ AM

عربة دفع رباعي سوداء رسمية، تنهب الطريق في طريقها إلى مدينة (تامبا)، جلس (غوستاف) أمام عجلة القيادة يفكر، بينما استلقي (طارق) بجواره نائمًا.. وقد تشوهت ملامح وجهه تمامًا من أثر الضرب الذي تلقاه من ذلك الرجل في القطار.

أيضًا استلقي العجوز (جاك) بالمقعد الخلفي.. فاقدًا للوعي بشكل مُضحك.

تجاوزت السرعة (١٨٠) كيلومتر في الساعة، كان (غوستاف) يُعيد ترتيب كل الأحداث في رأسه، بعد المُعطيات الجديدة التي سمعها من (طارق).. محاولًا الخروج بصورة شاملة لكل ما يحدث..

كانت الأمور قد بدأت تتكشف بعض الشيء، لكن ظلت هناك حلقة مفقودة في الأحداث.. وأسئلة في رأسه تحتاج إلى إجابات..

نفث دخان سيجاره المزمّن الذي لا يغادر شفثيه.. ثم اتصل بمساعدته (ميراندا).. كانت نائمة على المكتب أمام الكمبيوتر.. لذا طال الوقت حتى

ردت.. فتحت عينيها بصعوبة.. قائلة بصوت ناعس..

- «ما الأخبار؟»

تجاهل (غوستاف) السؤال.. مرددًا:

- «ماذا لدينا عن (تورادو جوانزالس)؟»

وكان النشاط قد دب - فجأة - في خلايا مخها!.. انطلقت أصابعها تعمل فوق جهاز الكمبيوتر الذي أمامها للحظات.. قبل أن تقول باهتمام:

- «الكثير..»

وأخذت تُخبره بكل ما ظهر أمامها من معلومات، صمت (غوستاف) حتى انتهت.. ثم قال:

- «هل يبدو له مقر واضح؟»

مطلت شفيتها.. مُجيبة:

- «لا.. آخر معلومة متوفرة، أنه نزيل الحجر الصحي..»

- «تلك صارت مهمتنا إذن..»

(ميراندا) بحذر:

- «حسنًا.. سأعمل على هذا في الصباح..»

(غوستاف) بحسم:

- «الآن..»

(ميراندا) باعتراض:

- «الساعة تجاوزت الثالثة.. ونحن.....»

قاطعها:

- «قلت الآن.. رفاهية الوقت غير متاحة..»

تنهدت.. قائلة بغیظ:

- «yes sir..»

وأنهاي المكالمة.. متممًا:

- «أكره العمل مع النساء..»

ثم عاد يركز في الطريق.. ضاغطًا دواسة البنزين أكثر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وسبع عشرة دقيقة صباحًا: ٠٣:١٧ AM

اقتربت سيارة الإسعاف التي تقل (عمر) ورفقته.. من منزله على خليج المكسيك بحذر شديد.. قبل أن يقول (مارتن) متوجسًا:

- «هل يبدو ذلك القرار صائبًا؟..»

(عمر).. وهو يُوقِف السيارة بعيدًا عن المكان.. ويتأمل المجال أمامه للحظة.. متممًا بثقة:

- «نعم.. هذا آخر مكان قد يبحثون فيه عني..»

(مارتن) بعدم اقتناع:

- «أنا أرى العكس تمامًا..»

هبط (عمر) من السيارة.. مضيقًا:

- «اطمئن.. أنا أعرفهم جيدًا، سيضيع الكثير من الوقت قبل أن يستنتجوا ذلك..»

دار حول السيارة.. فوجد (صوفيا) تُسَاعِد (لولا) - التي مازالت شبه فاقدة للوعي - على الهبوط.. رمقهم بنظرة سريعة.. ثم استدار يردف:

- «من هنا..»

وأخذ يقودهم ببطء حذر فوق أرض غير ممهدة.. وبعض الأمطار الطفيفة تصدم وجوههم..

يبدو أن هذا جعل (لولا) تفيق قليلًا.. فمدت يديها تعبت بمياه الأمطار كالأطفال قائلة:

- «أين أنا..»

وبدون مبرر أخذت تضحك.. كتمت (صوفيا) صوتها الذي بدا صاخبًا وسط الهدوء الذي يُحيط بالمكان.. متممة بعصبية:

- «كان لا بد من تسريبها..»

لم يُعلق أحد على العبارة.. حتى وصل (عمر) للمنزل.. ثم المصعد القديم المتهاالك.. ثم شقته الواسعة الكئيبة..

استقبله القط (فرعون) ⁶ بعدم حماس كالعادة.. قبل أن يعود لنومه الذي لا ينتهي أبدًا..

أضاء (عمر) المكان مستخدمًا ضوءًا خافتًا.. متممًا:

- «من الأفضل أن لا يشعر أحد بوجودنا..»

بدا هذا مفهومًا.. و(صوفيا) تتأمل كل شيء حولها بانبهار.. بينما استلقت (لولا) فوق أقرب مقعد قابلها..

دلف (عمر) لغرفة داخلية تبدو عليه علامات الألم. لاحظ ذلك (مارتن).. فلحق به يراقبه من بعيد..

خلع (عمر) عنه رداء المستشفى.... وتحسس جرحه. كان الإنهاك وحمي متوسطة تسري في كل جسده..

شرع يرتدي ملابسه العادية.. قبل أن يفتح ثلاجة صغيرة.. ويقوم بتجهيز ذلك المحقن..

ظهر (مارتن) يردد:

- «اترك لي هذا..»

نظر له (عمر) في امتنان.. وتركه يعطيه مضادًا قويًا للالتهابات، بعدها التقط ذلك المعطف الأسود القصير يرتديه.. وذهب للشرفة يتأمل الخليج..

همس (مارتن) من خلفه:

- «ماذا سنفعل؟..»

ظل (عمر) يتأمل المياه المظلمة أمامه.. قبل أن يتجاهل عبارته.. متسائلًا:

- «أين (طارق) الآن؟..»

(مارتن) بقلق:

- «لا أعرف.. هاتفه لا يرد.. لكنني أرسلت له رسالة تحدد موقعنا الجديد..»

(عمر) بعمق:

- «كان هنا أول الليل..»

كاد (مارتن) أن يقول شيئًا.. لكن فجأة أتت تلك الطرقات الخافتة على الباب، انتفض الأخير.. بينما تقدم (عمر) ليعرف شخصية القادم..

أشار لـ (صوفيا) بأن تتعد.. وأضاء تلك الشاشة الصغيرة.. لتبدو الصورة أمامه.. أصابت الدهشة (عمر) متممًا:

- «لماذا الآن؟..»

عادت الطرقات الخافتة.. وسمع تلك العبارة تتردد من خلف الباب:

- «أعرف أنك بالداخل..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



8 - القاع..

الثالثة وعشرون دقيقة صباحًا: ٠٣:٢٠ AM

حَلَّقَتْ تلك المروحية الصغيرة، فوق مياه خليج المكسيك.. وهي تهبط بحذر شديد على ذلك اليخت..

قبل أن يدلف منها مستشار الرئيس (كونر).. ويسرع الخطي كي لا يَبْتَل من مياه الأمطار..

استقبله أحد الرجال.. فقال ببرود.. وهو يتوقف تحت تلك المظلة:

- «أين هو؟»

أسرع الرجل يُشير لزملائه.. فقاموا بِجَرِ جسد (جورج).. الذي كان ما زال فاقِدًا للوعي.. انحنى (كونر) يتأملُه متسائلًا:

- «هل انتزعتم منه شيئًا؟»

- «لا..»

اعتدل يقول:

- «أفيقوه..»

سَكَب أحدهم فوق رأس (جورج) جردل مياه مثلجة.. فنهض الأخير يسعل بشدة، قبل أن يعود.. ويستلقي على ظهره من أثر الإصابات..

أخذ يتقلب - متأوِّهاً - حتى استقر على ظهره. صدمت الأمطار وجهه.. قبل أن يغادر (كونر) المظلة.. وينحني ينظر لعينيه متممًا:

- «مرحبًا (جورج)..»

جاهد الأخير كي يري وجهه.. قبل أن يبتسم في سخرية مرددًا:

- «إذن أنت مَنْ قتل (ويتمان)؟»

نظر (كونر) لرجاله.. قبل أن يقول بلهجة برود من الصعب وصفها:

- «لو كان هذا سَيُريحك؟.. نعم.. أنا من قتل (ويتمان)..»

حاول (جورج) النهوض بغضب.. لكنه لم يستطع..

- «ستدفع ثمن ذلك..»

تجاهل (كونر) العبارة.. قائلاً بجدية بعد لحظة صمت:

- «ماذا كُنت تفعل هنا؟..»

تعالّت ضحكات (جورج) الساخرة المختلطة بالألم.. و(كونر) يستطرد:

- «لو تعاونت معي.. سأمنحك فرصة للحياة..»

توقفت ضحكات (جورج).. وران الصمت.. بينما (كونر) يردف للمرة الثالثة في محاولة جادة لإغرائه:

- «انظر حولك.. قاع البحر ينتظرك إذا لم تتحدث..»

تراجع (جورج).. قائلاً:

- «مَنْ يضمن الالتزام بكلمتك؟..»

وضع (كونر) يده فوق كتفه.. متممًا بلهجة ثقة:

- «الضمان الوحيد أمامك هو أنني أقدر الرجال..»

عاد الصمت.. قبل أن يقول (جورج) بانهيار:

- «ماذا تريد أن تعرف؟..»

(كونر) بلهجة طافرة:

- «كل شيء.. أولها مصير تلك الأوراق التي كانت بحوزتك..»

ازدرد (جورج) لعابه.. متممًا:

- «سأخبرك..»

وأخذ يهذي ببعض الكلمات.. مما دفع (كونر) لأن يقترب منه أكثر كي يسمع، هنا تحرك (جورج) فجأة.. وقبض بأسنانه على عنقه..

صرخ (كونر) محاولاً التملص، لكنه فشل.. في اللحظة التي تحرك فيها رجاله.. وأطلقوا الرصاص على رأس (جورج)..

تحرر (كونر) يتحسس رقبتة بألم.. صارخًا:

- «ألقوه في المياه..»

وبالفعل لم يكد ينهي عبارته، حتى كانت جثة (جورج) تأخذ طريقها نحو قاع البحر.. عاد الرجل يسأل كبيرهم بحذر:

- «هل أنت بخير يا سيدي..»

اكتفي (كونر) بإماعة من رأسه، رغم أن علامات الألم ظلت مرسومة على وجهه..

لاذ الرجل بالصمت حتى عاد الأخير يقول.. وهو يتأمل خليج المكسيك عبر نظارة معظمة، خاصة بالرؤية الليلية:

- «أريد بيانات سريعة لكل مَنْ يقيم في تلك البقعة..»

تقدم رجل آخر.. يقول:

- «لقد فعلت هذا مباشرة.. بمجرد وصولنا لليخت..»

خفض (كونر) النظارة المعظمة من أمام عينيه.. والرجل يقدم له مسودة إلكترونية مستطردًا:

- «وبعد تجنب كل من ليس له صفة، كانت تلك النتيجة..»

مسح (كونر) شاشة المسودة بيده من رذاذ المطر، متأملًا البيانات بعيون متفحصة، قبل أن يضيف بحسم:

- «ذلك هو هدفنا..»

وأشار لاسم (عمر لاشين) من بين الأسماء المحدودة التي ظهرت أمامه..

سأل كبير رجاله:

- «لماذا هذا الاسم يا سيدي؟..»

(كونر).. وهو يتحرك عائداً للمروحية:

- «تردد أمامي كثيرًا الساعات الماضية..»

وصعد للطائرة.. يستطرد بحسم:

- «لا أريد أخطاء هذه المرة..»

اكتفي القائد بإماعة من رأسه، مُعطيًا التحية العسكرية.. والمروحية تصعد للسماء بهدوء، مُغادرة اليخت.. الذي أدار دفته عائداً للخليج..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وخمس عشرة دقيقة صباحًا: ٠٣:١٥ AM

انصرف (شاؤول) ينظر لتلك العينة من الدماء تحت المجهر، قبل أن يعتدل يفكر بشروء.. متممًا:

- «يبدو أن الطبيعة تدخلت كالعادة..»

كانت عبارته غامضة.. وتتناغم مع تلك الأفكار الأكثر غموضًا، التي تملأ رأسه..
دلف أحد رجاله يقدم له كارت.. قائلاً:

- «يريد مقابلتك..»

تطلع (شاؤول) للاسم المدون على بطاقة التعارف.. قبل أن ينهض
مردداً:

- «أين هو..»

- «في الخارج..»

- «دعه يدخل..»

دلف صاحب البطاقة.. يحمل تلك العيون الزائغة..

- «أهلاً دكتور (بان)..»

صافحه الرجل في صمت.. قبل أن يقول:

- «في الحقيقة أنا لم أكن أريد مغادرة الحجر.. لكن...»

قاطعه (شاؤول).. ليضيف بخبث:

- «كلفك مستر (توم) لمساعدتي.. أليس كذلك؟!..»

اتسعت عينا الدكتور (بان).. متسائلاً بدهشة:

- «كيف عرفت؟..»

تجاهل (شاؤول) السؤال.. مردداً:

- «مرحباً بك في الفريق دكتور (بان)..»

ومد يده يصافحه مرة أخرى، ارتبك الأخير.. ومد يده يتلقى المصافحة.. وهو
يردد:

- «لم آتٍ منفرداً..»

ضاقت عينا (شاؤول).. يسأل بحذر:

- «معك رفقة؟..»

(بان):

- «نعم.. خمسة باحثون..»

- «أهلاً بكم جميعاً..»

وضغط زر الاستدعاء.. فدلف رجله.. قال (شاؤول):

- «مع الدكتور (باز) حتى غرفة الأبحاث..»

أفسح الرجل له المجال.. قائلاً باحترام:

- «تفضل يا سيدي..»

- «أشكرك..»

غادر (باز) الغرفة.. و(شاؤول) يتأمله عبر الحاجز الزجاجي، حتى اختفي من أمامه.. متمتماً بجمود شديد:

- «أعرف التكليف الذي أتيت به من أجله، لكن تُرى؟!.. هل سيكون لديك وقت كافٍ لتنفيذه؟..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



9 - ماري..

اعتادت السيدة (ماري) - جارة (عمر) بالدور الثاني - على الوحدة.. منذ زمن طويل.. تحديدًا منذ فقد ابنها الوحيد..

حياتها صارت عبارة عن مشاهد متكررة لا تنتهي، في الشتاء تختفي بالأسابيع للبقاء أمام المدفأة، تحتسي الشراب.. وفي الصيف أقصي ما تفعله هو الجلوس بالشرفة.

كانت تري بوضوح محاولات (عمر) جارها الوحيد بالمبنى للتقرب منها.. أو على الأقل ليعرف أنها ما زالت على قيد الحياة..

لكن يبدو أنه يئس سريعًا.. فهو أيضًا كائن غير اجتماعي بطبعه.. قليل الكلام.. ويحب العزلة.

كانت تُشبه الممثلة الأمريكية (ميليسا مكارثي Melissa McCarthy) ⁷، كانت بدينة مثلها، لكنها البدانة الرشيقة.. والتي تحصل على اهتمامك بمجرد رؤيتها.. وتدفعك كي تبتسم عندما تراها تتحرك أو تتحدث.

في تلك الليلة لم تستطع السيدة (ماري) النوم، شيء ما جعلها تسهر.. وتقلب في صندوق ذكرياتها القديمة..

علها ليلة الكريسماس.. أو اقتراب موعد عيد ميلاد ابنها المفقود؟.. المهم أنها لم تدخل الفراش كعادتها كل ليلة..

حتى سمعت فجأة ذلك الانفجار بالخارج.. هذا جعلها تترك كل ما في يدها.. وتخرج للشرفة..

شاهدت تلك السيارة البعيدة، تشتعل فيها النيران.. وذلك الشخص يخرج من سيارة أخرى.. يحاول الهرب نحو المبنى الذي تقيم فيه..

لم تُفكر كثيرًا.. وضعت ذلك الرداء الثقيل حول رقبتها.. والتقطت بندقية صغيرة، تَلِيق بها.. وهبطت تستطلع ما يحدث..

في تلك اللحظة كان (جورج) حارس (ويتمان).. قد اقترب كثيرًا من المبنى و.. حدث ذلك التصادم..

- «من أنت؟!.. وماذا تفعل هنا؟!..»

قالتها (ماري) بتحفز.. وهي تُشهر بندقيتها في وجهه بارتباك.. تسمر (جورج) يتأملها متممًا في ثبات:

- «هل تعرفين (عمر لاشين)؟»

شيء ما في لهجة صوت (جورج) جعلها تشعر تجاهه بالثقة.. لكنها قاومت ذلك مرددة في عناد:

- «أنت لم تُجب عن السؤال؟..»

ثم صوبت نحوه البندقية.. بتحفز أكثر..

يبدو أن (جورج) قد ملّ من الأمر، فتقدم نحوها سريعًا.. قبل أن يمسك فوهة البندقية.. ويجذبها نحوه متممًا بحدة:

- «صمام الأمان مُغلق!..»

وأعقب قوله.. بأن فعل ذلك - فتح الصمام - ثم أعطائها البندقية مرة أخرى!!.. ران الصمت بينهم لثوان.. تسارعت خلالها دقات قلب (ماري) أكثر.. وهي تقول بجدية كوميدية:

- «أشكرك..»

تلفت خلفه سريعًا.. ثم عاد يُكرر سؤاله:

- «هل تعرفين (عمر لاشين)؟»

(ماري) بارتباك:

- «نعم.. إنه جاري الوحيد في المبنى..»

اقترب ينظر في عينيها بقوة.. قبل أن يردد:

- «سأعطيك شيئًا لا بد أن يصل إليه..»

- «ما هو؟..»

أخرج (جورج) الظرف من ملبسه.. قائلاً:

- «تلك الأوراق..»

(ماري) بحذر:

- «لماذا على أن أثق بك؟..»

أجابها سريعًا.. وهو يُظهر شارة رسمية:

- «أنا ضابط جيش سابق..»

تأملت (ماري) الشارة.. فأشعرها ذلك بالاطمئنان قليلاً.. وكادت تسأل سؤالاً آخر، لكن (جورج) بدأ يسمع وقع تلك الخطوات الحذرة تقترب..

استطرد هامساً بحدة.. وهو يمسك ذراعها:

- «اختفي الآن.. ولا تتدخل في أي شيء قد يحدث..»

لم يعطها فرصة للرد.. بعدما أسرع يختفي في الظلام...

تسمرت (ماري) في موقعها تنظر لظرف الأوراق في يدها.. والبندقية التي في اليد الأخرى..

قبل أن تفيق.. وتُسرع عائدة مُهرولة للمبنى.. وتختفي بداخله..

لم تنتظر المصعد. استخدمت السلالم.. لدرجة أنها وجدت نفسها فجأة تقف في ردهة شقتها الواسعة تلهث..

سندت الباب بظهرها.. قبل أن تُسرع في إغلاقه بإحكام.. ثم إطفاء كل الأنوار. بعدها تسللت للشرفة، مُحاولاً التلصص على ما يحدث..

شاهدت (جورج) يسقط بين الثلاثة رجال..

كتمت أنفاسها بيدها في تأثر، كي لا يسمعها أحد؟!.. رغم بُعد المسافة التي يستحيل معها ذلك..

قبل أن تراهم يسحبون جسده.. ثم يلقون به فوق ذلك القارب الصغير، الذي ظهر فجأة على الشاطئ..

ظلت تتأمل القارب البعيد بانفعال حتى اختفي من أمام عينيها، حينئذ تنهدت.. وعادت للصالة تنظر لظرف الأوراق..

- «ما الذي يوجد بداخلك؟»

وكادت تشرع في فتحه.. لكنها تراجع متمتمة بخوف:

- «لا.. قد تدفعين ثمن ذلك..»

وارتمت فوق مقعدها أمام المدفأة.. تحتسي كوباً كبيراً من الشراب بتوتر شملها.. وهي تفكر في إجابة سؤال واحد..

- «ماذا ستفعل الآن؟»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وخمس وعشرون دقيقة صباحاً: ٠٣:٢٥ AM

كانت السيدة (ماري) صاحبة الطرقات على باب شقة (عمر).. والتي بعدما أدخلها.. ثم استمع لروايتها في عُجالة.. تمتم (مارتن) بدهشة:

- «غريبة!..»

تجاهلته السيدة (ماري).. مستطردة:

- «وهذا هو ظرف الأوراق الذي خلفه وراءه..»

التقطه منها (عمر) دون انفعال، قبل أن يُزج بعض الأغراض من فوق مكتبه.. ويفض ما في داخله..

كان (مارتن) يقف بجواره.. وبفضول شديد بدأ يتطلع إلى بعض الأوراق الكثيرة التي بداخله..

ران الصمت المُطبق على المشهد، الذي لحقت به (صوفيا) بحذر.. قبل أن تضيق عينا (مارتن) متممًا بتفكير:

- «إنه تصميم لسلاح بيولوجي..»

أضاف (عمر) في شرود.. مُشيرًا لورقة بيده:

- «سلاح بيولوجي مِنْ تصميم (تورادو جوائزالس)؟!..»

انتقل الاهتمام إلى (مارتن).. وهو يتطلع للاسم.. قبل أن يستطرد (عمر) بتفكير:

- «هناك مَنْ يحاول المساعدة..»

(مارتن):

- «تقصد أن هذا التصميم له علاقة ب.....»

قاطعه (عمر) بحسم:

- «نعم.. يبدو هذا واضحًا..»

سحب (مارتن) ذلك المقعد.. وجلس يفحص كل الأوراق يَتَهم، بينما تدخلت السيدة (ماري) تقول:

- «أعتقد أنه لم يعد لوجودي فائدة..»

وشرعت في المغادرة.. فلحق بها (عمر) يستوقفها.. قائلاً:

- «أري أنه من الأفضل أن تبقي معنا الليلة..»

كانت السيدة (ماري) تتعمد أن تبدو قوية مُسيطرة على دواخلها، تطلعت إليه بدهشة.. متسائلة:

- «لماذا؟»

- «هذا أكثر أمانًا لك..»

هزت رأسها برفض.. مُضيفة:

- «أنا لست طرفًا فيما يحدث.. ولا أحد يعرف عني شيئًا..»

واستكملت طريقها نحو باب الخروج بثقة.. لكن (عمر) أضاف بلهجة حادة:

- «مَنْ أدراك أنه لم يتحدث؟..»

أدركت طبعًا أنه يقصد (جورج). تسمرت في مكانها تفكر لثانية.. قبل أن ترفض الفكرة، قائلة بلهجة تراجع واضحة:

- «لا أعتقد هذا..»

- «لماذا؟»

أخذت تبحث عن إجابة.. فلم تجد سوى:

- «كان يبدو قويًا.. ومن النوع الذي لا يستسلم بسهولة..»

نمي على وجه (عمر) شبح ابتسامة سرعان ما اختفت.. وهو يقول:

- «لا تراهني - كثيرًا - على ذلك..»

واقترب يضيف بضعف واضح:

- «فتحت تأثير التعذيب.. قد يفعل الإنسان أي شيء..»

ران الصمت بعد تلك العبارة.. والسيدة (ماري) تتطلع لكل من (عمر) و(صوفيا).. التي لوحت لها بيدها - عن بُعد - في ترحاب.

كانت تحاول حسم قرارها، لكن فجأة شعر (عمر) بعدم اتزان.. ووضع يده على مكان الجرح.. مما دفعه لأن يستند عليها..

ساعدته.. قائلة بدهشة:

- «ماذا بك؟»

(عمر) محاولًا التنازل:

- «لا شيء..»

نهض (مارتن) سريعًا، يُجلسه فوق أقرب مقعد.. قبل أن يبدأ في كشف صدره. ظهرت أمامه بقعة دماء صغيرة، ثلوث ملابسه الداخلية..

اقتربت السيدة (ماري) ترفع الضمادات بحذر.. قبل أن تضيق عيناها متسائلة:
- «ما هذا؟»

أجابتها (صوفيا) بأسف:

- «أثر طلق ناري حديث..»

كانت السيدة (ماري) تعرف أن (عمر) يعمل في جهة ما رسمية، لكنها لم تهتم يومًا بمعرفة تلك الجهة..

كل الذي كانت متأكدة منه، أنه من الأخيار.. هذا كان - دائمًا - شعورها نحوه!.. أضف أنها تعرف الأوغاد.. تعرفهم بمجرد رؤيتهم.. ذلك جعلها لا تضيق المزيد من الوقت في الأسئلة..

استقامت تقول بحسم:

- «لقد قُكت بعض الغرز الجراحية بسبب الحركة..»

(صوفيا).. وهي تنظر لـ (مارتن):

- «رفاهية أن نذهب إلى أي مستشفى الآن غير متاحة..»

أماءت (ماري) برأسها في تفهم.. مرددة:

- «أستطيع فعل ذلك.. هل لديك خيوط في صيدلية المنزل؟..»
(عمر):

- «لا يوجد صيدلية أصلًا..»

(ماري) بحسم:

- «أنا لذي كل ما تحتاجه..»

وغابت دقائق.. عادت فيها لشقتها، قبل أن تظهر من جديد، حاملة تلك الحقيبة الصغيرة..

برشاقة وضعت الحقيبة على الأرض.. ثم شرعت تعتني بالجرح.. متممة:

- «لا تقلق.. كنت أعمل في فترة ما من حياتي بالصليب الأحمر..»

تأملتها (صوفيا) في إعجاب.. وانحنى تساعدها..

أعدت السيدة (ماري) أمبول الخيط الجراحي.. ثم أردفت وهي تلوح به في الفراغ:

- «جاهز..»

اكتفي (عمر) بإمالة من رأسه.. فبدأت تُغلق الجرح دون أي تخدير موضعي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وواحد وعشرون دقيقة صباحًا: AM ٠٣:٢١

فجأة استيقظ (طارق).. شيء ما جعله يفتح عينيه؟!.. رغم التعب الشديد الذي يحتاج كل جسده..

كان (غوستاف) ما زال يقود السيارة بنفس السرعة البالغة.. والمساحات الأمامية تُزيل مياه الأمطار التي تصدم الزجاج..

لم يستطع (طارق) أن يري شيئًا أمامه.. الطريق مظلم بشكل مخيف.. رغم هذا كان (غوستاف) يحافظ على سرعته..

اعتدل يحاول تقبل الأمر.. وإقناع نفسه أن تلك الجثة الأمريكية الجالسة بجواره.. وتقود السيارة، تعي ما تفعل..

رمقه (غوستاف) بنظرة سريعة صامتة.. ثم عاد ينظر للطريق:

- «هاي..»

(طارق):

- «كم بقي على الوصول؟..»

(غوستاف).. وهو ينفث دخان سيجاره:

- «دقائق..»

ثم رمي بقايا سيجاره من النافذة الجانبية.. قبل أن يُخرج آخر سليماً من جيبه الخارجي.. و يطلب من (طارق) إشعاله..

ارتبك الأخير.. وأخذ يبحث عن مصدر للنار، حتى وجد تلك العلبة المبللة من الثقاب أمامه..

حاول عدة مرات قبل أن يشتعل ذلك العود. أشعل سيجار (غوستاف) الطويل.. قبل أن يتأمل (طارق) متسائلاً بحذر:

- «هل معك واحد آخر؟..»

نمي شبح ابتسامة فوق وجه (غوستاف).. مرددًا:

- «للأسف لا..»

وران الصمت للحظات.. قبل أن يعود الأخير مستطرًا:

- «لكن نستطيع أن نتشاركه..»

وقسم السيجار إلى اثنين.. أعطي (طارق) النصف الأمامي المشتعل.. بعدما أشعل لنفسه النصف الآخر..

بدأ (طارق) لأول مرة في حياته.. يضع ذلك الشيء في فمه؟!.. لم يعرف لماذا يفعل ذلك الآن؟!..

علها البرودة التي يشعر بها.. أو الإحساس بالخوف؟!.. المهم أنه تورط.. وصار لا بد من ممارسة الأمر..

سحب الدخان على صدره بقوة.. فسعل بشدة.. انتظر (غوستاف) حتى انتهى.. ثم قال بسخرية:

- «يبدو أنك معتاد على نوع آخر؟..»

(طارق) محاولاً أن يبدو عليماً بالأشياء:

- «ما نوع ذلك السيجار؟..»

(غوستاف):

- «بوليفي..»

مط (طارق) شففيه في رفض.. مضيقاً:

- «أنا أفضل الكولومبي..»

ابتسم (غوستاف) هذه المرة.. قائلاً:

- «إنه غالى الثمن..»

عاد (طارق) يدخن.. لكن بحذر هذه المرة.. قبل أن يسأله:

- «ما خطتك للقادم؟..»

- «هذا يعتمد عليك..»

- «أنا؟..»

- «نعم.. لا بد أن أقابل الفريق كاملاً..»

هنا تذكر (طارق) الهاتف.. فأخرجه محاولاً الاتصال بـ (مارتن).. لكن قبل أن يفعل، وجد ذاكرة المحمول تحمل تلك الرسالة..
والتي أرسلها له الأخير.. ليُعلمه فيها بموقعهم الجديد..
شرد (طارق) بسعادة، فقد كان هذا يعني أن (عمر) بخير.. استدار يسأل (غوستاف):

- «كم بقي على (تامبا)؟»

- «نحن الآن فيها..»

- «سنقصد هذا العنوان..»

وأعطاه الهاتف ليقرأ نص الرسالة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



10 - نيتروما..

الثالثة وخمس وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٣:٣٥ AM

في أجواء متوترة على كل مَنْ يعمل بالمكان.. وللمرة المائة تطلع (شاؤول) لتلك الصور الإلكترونية (Electron Micrograph)، للفيروس الجديد.. بجواره صورة فيروس (تورادو) التخليقي - والذي أطلق عليه العالم في أوراقه الرسمية اسم (نيتروما) - في حيرة شديدة.. قبل أن يقول:

- «ما أصل هذا؟»..

لكن ظل سؤاله دون إجابة؟!..

لقد وصل لنفس النتيجة التي وصل إليها (مارتن).. و(باز).. وكل مَنْ سبقه في البحث؟!.. وهي تطابق القواعد البروتينية بين الاثنين تقريبًا، دون أن يكون أحدهم نتيجة لتطور الآخر..

المشكلة أن تزامن ظهورهم واحد.. وذلك يبدو غير مفهوم..

هز (شاؤول) رأسه يفكر:

- «حتمًا هناك إجابة منطقية..»

ونفض ينظر لجسد (تورادو) الغائب عن الوعي، عبر حاجز غرفته الزجاجي.. مردفًا:

- «هل لك يد في هذا؟.. أم أن تطور الأحداث كان خارج إرادتك..»

عاد ينظر لعينة دمائه.. التي بها قاعدة أكسجين واحدة - فقط - باقية من أعمدة الهيموجلوبين (HB) الأربعة.. بينما كل الحالات الأخرى ليست كذلك..

- «ما الذي يجعلك مختلفًا؟»

شعر أن مفتاح الحل يكمن في تلك النقطة تحديدًا.. فلو استطاع معرفة السبب، قد يقوده ذلك لتبرير الأمر..

هنا دلف عليه أحد رجاله يردد:

- «الدكتور (باز) يا سيدي..»

- «ماذا عنه؟»

اقترب الرجل يضيف:

- «يريد فحص الدكتور (تورادو).. كما يريد أيضًا مصدرًا عاليًا للطاقة..»
ضاقت عينا (شاؤول) في فضول شديد.. قبل أن يسأل:
- «لماذا؟»

- «لم يُفصح عن الهدف يا سيدي..»
انصرف (شاؤول) يتحرك في الغرفة يفكر لبرهة.. ثم قال:
- «دعوه يفعل ما يشاء..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وتسع وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٣:٣٩ AM
أنهت السيدة (ماري) العناية بجرح (عمر) بمهارة شديدة، قبل أن يُعيد الأخير
ارتداء ملابسه.. مقاومًا فكرة المرض..
- «أشكرك..»

نهضت تتأمله.. قائلة باهتمام:
- «أنت في حاجة إلى الراحة..»
اكتفي بتلك الابتسامة من الامتنان.. ثم ذهب لـ (مارتن) يسأله:
- «ما رأيك؟..»

ظل الأخير ينظر للأوراق التي كان غارقًا فيها.. وهو يتمتم:
- «أحتاج إلى مقارنة النتائج..»
كاد (عمر) يقول شيئًا ما، لكن فجأة سمع ذلك الصوت يأتي من الشارع، أشار
للجميع بالصمت.. ثم ذهب لاستكشاف الوضع عبر الشرفة..
فوجد ثلاثة رجال يقتربون من واجهة المبنى الخارجية بحذر.. قبل أن يسمع
صوت السيدة (ماري)، يأتي من خلفه يقول هامسًا:
- «لقد عادوا..»

أدرك مقصدها على الفور.. فعاد للداخل يقول:
- «لا بد أن نفترق..»
(مارتن).. وهو يلم الأوراق التي أمامه بسرعة:
- «إلى أين سنذهب؟»

ران الصمت لثانية.. وكل الوجوه تنظر لبعضها في قلق تصاعدي.. قبل أن تتدخل السيدة (ماري) تقول بحسم:

- «شقتي..»

راقت الفكرة لـ (عمر).. فأضاف:

- «أنا سأبقي هنا..»

رفضت (صوفيا) بحسم:

- «لا..»

(عمر):

- «لا بد أن يستقبلهم أحد..»

- «لماذا أنت؟»

نظر (عمر) إليهم.. مرددًا:

- «لأنهم هنا من أجلي.. وسيُكملون البحث في المبني كله إذا وجدوا الشقة خالية..»

(صوفيا) بمزيد من الرفض:

- «كيف عرفت هذا؟..»

(عمر) بحسم:

- «ظرف الأوراق يحمل اسمي..»

بدا ذلك منطقيًا.. فقالت السيدة (ماري) بسرعة:

- «كُن على حذر.. إنهم مجرمون..»

استجابت (صوفيا) بعدم اقتناع.. و(ماري) تستطرد بقوة تبعث على الاطمئنان.. وهي تضع يدها فوق كتفه:

- «لا تقلق.. سنبقي في الجوار..»

خرجوا جميعًا من الباب.. بينما توقف (مارتن) يردد:

- «نسينا (لولا)..»

تسرب إليهم صوت خطوات حذرة بالدور الأرضي.. فتصاعد التوتر بداخلهم أكثر.. قبل أن يقول (عمر) بحسم:

- «ليس هناك وقت.. هيا..»

استجابوا له.. واندفعوا بسرعة نحو شقة السيدة (ماري) بالدور الثاني، لدرجة أنه بمجرد غلق الباب، ظهر الثلاثة رجال يصعدون السلم ببطء..

بجراحة تأملتهم السيدة (ماري) عبر العين السحرية للباب.. وهي تهمس:

- «هذا ليس جيدًا؟»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وثلاث وأربعون دقيقة صباحًا: ٠٣:٤٣ AM

تلقت الثلاثة رجال يمينًا ويسارًا، بعد قراءة تلك اللافتة الصغيرة، التي تحمل اسم (عمر لاشين) خارج شقته..

تقدم أحدهم يطرق الباب في حذر.. بينما يضع يده الأخرى فوق مسدسه.

لم يستجب أحد للطرقات.. فقرر اقتحام المكان، لكن قبل أن يفعل، فتح (عمر) الباب يتشاءب..

كان يريد تصدير فكرة التلقائية والاسترخاء.. نظر لهم يتساءل:

- «هل تبحثون عن اسم معين في المبنى؟..»

ابتسم الأول في سخرية قائلاً:

- «نعم.. أنت..»

(عمر) مُتصنِّعًا الدهشة:

- «أنا؟..»

تدخل الثاني يقول بحدة:

- «ألست (عمر لاشين)؟»

- «نعم..»

هنا.. أخرج الأول مسدسه.. وصوبه نحو وجه (عمر) ببرود.. وهو يدفعه للداخل متممًا بنفس لهجة السخرية:

- «لقد وصلنا إذا..»

تراجع (عمر) للداخل يقول:

- «حتمًا هناك شيء ما خطأ..»

دلف الثلاثة رجال للشقة.. وأغلق الأخير الباب خلفه.. متسائلًا:

- «هل يوجد أحد غيرك هنا؟..»

تجاهل (عمر) السؤال.. محاولاً أن يبدو قويًا.. وهو يردد:

- «من أنتم؟.. وماذا تريدون؟..»

دفعه الأول ليجلس فوق المقعد الذي كان يجلس عليه منذ قليل، أثناء ما كانت السيدة (ماري) تعتني بجرحه..

نظر في عينيه يقول بعمق:

- «ما علاقتك بالسيناتور (ويتمان)؟..»

تبادل (عمر) معه النظرات الباردة.. وهو يقول:

- «أنا لا أحتك بتلك الشريحة من المجتمع..»

ارتسمت فوق ملامح الرجل تلك الابتسامة المتحفزة.. بينما زملائه يفتشون الشقة سريعًا..

وجد الرجل الثاني (لولا) تنام بعمق فوق تلك الأريكة الواسعة، كانت رائحة الكحول الشديدة تفوح منها، حاول إيقاظها بصفعها عدة مرات، لكن هذا بدا صعبًا.. فعاد للصالة يقول بحسم:

- «هناك فتاة ليل هنا.. لكنها غائبة عن الوعي.. يبدو أنه كان يحتفل معها.. وأسرفت في الشراب..»

ظهر الرجل الثالث عائداً من غرفة النوم، يشير لهم بأنه لا أحد بالداخل.. قبل أن يتسم الأول بمزيد من السخرية مضيئًا:

- «لقد دمرت الصورة التي رسمتها لك في مُخيلتي!.. بعد قراءة ذلك التقرير عنك أثناء الطريق إلى هنا!.. كاد أن يصفك كالكاهن!.. وليس شخصًا يجلب فتيات ليل..»

من جديد تجاهل (عمر) العبارة.. وعاد لنفس السؤال:

- «من أنتم؟.. وماذا تريدون؟..»

الرجل الأول ببرود:

- «ماذا أرسل لك السيناتور (ويتمان)؟..»

(عمر) بإصرار:

- «أخبرتكَ أنني لا أعرفه..»

لَقَتَ نظر الرجل الضمادات القديمة.. وبقايا أدوات الغيار التي كانت ما تزال موجودة على المنضدة المجاورة لـ (عمر).. قبل أن يسأله في شك:

- «لِمَن تلك الأشياء؟..»

- «ليس هذا من شأنك..»

أضاف الرجل الثالث بتحفظ:

- «إنه يخذعنا..»

هنا دخلت جلسة الاستجواب، مستوي آخر من المعاملة..

تلقي (عمر) - فجأة - تلك الصفحة القوية على وجهه.. فسقط على الأرض بالمقعد..

تأوه بشدة.. ليس بسبب الصفحة طبعًا، لكن نتيجة الجرح في كتفه. حاول جاهدًا أن لا يلفت نظرهم لذلك.. بأن بقي على الأرض - مُدعيًا - أن رأسه قد ارتطمت بظهر المقعد..

انحني الرجل يضع المسدس فوق رأسه.. مرددًا:

- «لن أقضي الليل كله هنا..»

تقلب (عمر) على الأرض.. يمثل عدم الاتزان.. قائلاً بتراجع:

- «حقًا.. ليس لدي ما أخبرك به..»

- «إنه اختيارك إذن..»

وسحب إبرة مسدسه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



11 - الهجوم..

الثالثة وسبع وأربعون دقيقة صباحًا: ٠٣:٤٧ AM

ارتدي الدكتور (باز) ذلك الرداء الواقى.. ودلف لغرفة (تورادو) برفقة مُساعد له، قبل أن يجلس بجواره.. ويتأمله في صمت مرددًا:

- «ها نحن نلتقي من جديد..»

وأشار لمساعدته الذي وضع - سريعًا - بجواره تلك الحقيبة السوداء متوسطة الحجم.. فتحها ليبدو داخلها ذلك الجهاز الذي يشبه السُونار⁸ (Sonar)..
أضاء (باز) شاشة الجهاز.. وسحب مَجَسًّا لاسلكيًّا.. أخذ يمرره فوق صدر (تورادو)..

كان (شاؤول) يتابع كل هفوة تحدث بالغرفة.. ضاقت عيناه متسائلًا عبر مُكبر للصوت:

- «ما هذا الجهاز؟..»

كان الدكتور (باز) يعرف جيدًا أنه يخضع لرقابة صارمة.. رغم ذلك أجابه ببساطة:

- «إنه فحص روتيني لأعضاء الدكتور (تورادو) الداخلية..»

(شاؤول) بريئة:

- «كل الشاشات التي بجوارك تقوم بهذا العمل!.. فما حاجتك لفعل ذلك؟»

الدكتور (باز) دون أن يتوقف عما يفعل:

- «إنه جهاز من تصميمي.. يعطي نتائج أكثر دقة..»

(شاؤول) بدهشة اختلطت بمزید من الريبة:

- «وهل هناك أحدث من التقنيات التي تستخدمها وزارة الدفاع؟..»

(باز) بثقة.. وأصابه تزداد سرعة في العمل:

- «نعم.. هناك دائمًا ما هو أحدث.. خاصة ذلك الجهاز..»

كان الدكتور (باز) يتوقع من (شاؤول) الصمت بعد تلك العبارة، لكن الأخير استمر في الحديث.. متسائلًا بلهجة حملت السخرية والاستخفاف بالأمر:

- «وماذا يُضيف جهازك؟..»

برقت عينا (باز) بدهشة.. وهو يقرأ بعض المعلومات التي ظهرت أمامه.. قبل أن يُجيب بحسم:

- «سأقدم لك تقريرًا مُفصّلًا بالنتائج..»

لم تُرض الإجابة (شاؤول)، لكنه لم يملك بعدها سوي الصمت.. ومتابعة ما يحدث بمزيد من الفضول والترقب.

كان جهاز الدكتور (باز) ظاهرًا هو جهاز سونار، لكنه في الحقيقة يؤدي مهمة أخرى.. أكثر صعوبة..

كان الدكتور (باز) في تلك اللحظة، يقوم بخطوة رغم بديهيته، لم يفعلها أحد حتى الآن..

كان يُطابق قواعد الـ (DNA) الوراثة الخاصة بالدكتور (تورادو).. بذاكرة الجهاز الفيروسية كلها؟.. أيضًا كان يحاول رصد أي تعديل جيني قد حدث، مع تحديد الهوية بواسطة مرتسم الـ (DNA).. وتشخيص الأمراض.. والطفرات المُحتملة التي قد تكون أصابته..

كان الجهاز يضع فرضية لكل تلك السيناريوهات في تتابع سريع، حتى توقف فجأة مُعلنًا الوصول لنتيجة واحدة..

كانت الشفرة الوراثة للرجل.. تتطابق بنسبة مُخيفة (٩٩%) مع القواعد البروتينية لفيروس (نيتروما)..

ضاقت عينا (باز) بعدم فهم.. وعقله يردد:

- «كيف هذا؟..»

- «كيف تتطابق الشفرة الوراثة الحقيقية للرجل، بفيروس من اختراعه؟!..»

استمر تفكير (باز) بشكل أعمق.. حتى أضاء ذلك النور في مُخيلته..

- «ربما لهذا السبب؟!..»

- «الرجل كان يسعى لتخليد اسمه.. فقام بصناعة فيروس يحمل بصمته الجينية.. لتظل باقية بعد رحيله..»

- «لكن يبدو أن مخلوقه الصغير تمرد على صَانِعه.. وكان لديه طموحه الخاص..»

ضغط زرًا ما أمامه.. فظهر (نيتروما) الجديد.. أو ما أطلق عليه هو مجازًا (نيتروما ٢).. والذي كان سببًا في كل تلك الفوضى..

ظل ينظر له في جمود.. ولسان حاله يتمتم:

- «كيف تحول لذلك؟..»

- «كيف؟!..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وثمان وأربعون دقيقة صباحًا: AM ٠٣:٤٨

تجمد الموقف و(عمر) ينتظر خروج تلك الرصاصة.. قبل أن يتدخل فجأة الرجل الثاني يقول بحسم:

- «انتظر..»

تراجع تحفز الرجل الأول.. وأخذ يراقب رفيقه.. وهو ينحني ليلتقط ظرف الأوراق، الذي أرسله (ويتمان) لـ (عمر) من على الأرض تحت ذلك المكتب.. يبدو أنه قد سقط من (مارتن) سهوًا أثناء سرعته في جمع الأوراق..

قرأ الرجل اسم (عمر لاشين) على الظرف.. قبل أن يقترب من رفيقه.. ويُشير لرسم صغير عليه.. مرددًا:

- «شعار مكتب (ويتمان)..»

زفر (عمر) قائلاً بغضب:

- «غبي..»

ابتسم الرجل الأول في سخرية.. ثم قال:

- «هل ما زلت لا تعرفه؟..»

ضاقت عينا الرجل الثالث.. مضيقًا بقلق:

- «يبدو أن له شركاء..»

عاد الأول يقول:

- «من الأفضل أن تتعاون..»

ومد يده يسحبه من على الأرض بعنف. وقف (عمر) يَسُبُّه بتحدٍّ غاضب.. عندئذ صارت الأوراق مكشوفة..

قال الثالث بتفكير:

- «المبني خال تمامًا من السكان.. ولا يوجد به سوي تلك المرأة العجوز بالدور الثاني، ما رأيكم أن نقوم بزيارتها؟!.. أشعر أننا سنجد شيئًا ما هناك..»
ازداد غضب (عمر) مما تسبب في تأكيد الأمر داخلهم.. فابتسم الأول في شماته.. مضيئًا:

- «يبدو أن معك حقًا..»

ودفع (عمر) نحو الأمام بمسدسه.. مستطرًا بغل:

- «هيا.. سترافقنا..»

رغمًا عنه تقدمهم.. والرجل الثاني يفتح باب الشقة، في اللحظة التي ظهرت فيها (لولا) تأتي من الداخل، تعبت في شعرها كالعادة.. وتتأملهم بعدم اتزان..
قائلة:

- «هاي..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في تلك المرة تَلقت (لولا) أسوأ عقاب قد تحصل عليه.. لكمة قوية، جعلتها تطير في الفراغ لعدة أمتار!.. قبل أن تستقر فوق نفس الكنية، التي كانت تنام عليها منذ قليل.. لكن فاقدة للوعي هذه المرة..

- «ليس من اللياقة أن تضرب امرأة بتلك الطريقة..»

كان صاحب العبارة هو (غوستاف).. والذي بمجرد أن قالها، استدار نحوه الثلاثة رجال بسرعة تليق بسمعتهم..

لكن أقربهم إليه لم يستطيع الرؤية جيدًا.. بسبب تلك اللكمة القوية التي تلقاها فوق أنفه..

لحظة اقتحام (غوستاف) للمكان.. واشتباكه بشكل مباشر مع الرجل الذي كان يصوب المسدس نحو (عمر)..

حاول الرجل الثالث التقاط مسدسه بدوره.. فظهر (طارق).. واندفع نحوه يحاول منعه.. مرددًا:

- «مرحبًا..»

تخلي الرجل عن الفكرة.. واستقبل (طارق) بلكمة قوية أصابت وجهه.. وهو يَرُد التحية صارخًا بسخرية:

- «مرحبًا أيها الوغد..»

يبدو أن جسد (طارق) قد اعتاد على الألم.. فهو رغم سقوطه، كان ما زال قادرًا على النهوض!..

لكن يبقى السؤال.. هل سيمنحه منافسه الوقت الكافي لذلك؟!..

استطاع الرجل سحب مسدسه، لكن قبل تصويبه.. تدخل عامل كان مفاجأة للجميع.. إنه قط (عمر) النوبي (فرعون)..

يبدو أن تلك الضجة قد أزعجته.. فقرر التدخل..

كشر عن أنيابه.. أبرز مخالبه.. ثم طار في الهواء.. مُحدثًا ذلك الصوت المُرعب الذي يميزه..

ارتبك الرجل.. وغطى وجهه بـكلتا يديه..

كانت تلك فرصة مناسبة لـ (طارق) لإعادة الهجوم، لكن هذه المرة كان الهجوم مزدوجًا..

فقد انضم له (عمر) يردد:

- «هل تحتاج إلى رفقة؟»..

أجابه (طارق) ببهجة زائفة غير مبررة.. وهو يلتقط ذلك المقعد الصغير.. ويوجهه نحو رأس الرجل:

- «Welcome..»

تفادي الرجل المقعد برشاقة تدعو للسخرية.. ثم عاد لمواجهةهم.. حاول (عمر) المشاركة، لكنه تلقى لكمة سريعة أعادته للخلف يتألم..

قبل هذا التوقيت بثوان معدودة، كان الرجل الذي تلقى أول لكمة في أنفه من (غوستاف)، يحاول استعادة توازنه..

فظهر العجوز (جاك) في المشهد.. موجّهًا إليه تلك الركلة القوية، لكنه كان بطيئًا أكثر من اللازم..

مسك الرجل قدم (جاك) بصعوبة.. ودفعه للخلف.. فارتطم ظهر العجوز بباب الشقة، قبل أن يأخذ نفسًا عميقًا.. ويعود للاشتباك متممًا بعزم:

- «لن أنهزم هذه المرة..»

ودار في منزل (عمر) ثلاث بؤر من الصراع..

صوت ارتطام أتي من أعلى.. فنظر جميع مَنْ في شقة السيدة (ماري) نحو السقف.. والأخيرة تتمتع بقلق:

- «لا بد مِنْ فعل أي شيء..»

لكن قبل أن يرد عليها أحد.. تسرب إلى أذنها صوت خطوات حذرة تصعد السلم.. فعادت في ترقب شديد، تنظر عبر العين السحرية للباب متممة بحذر:

- «لقد رأيت هذا الرجل هنا من قبل؟.. آه.. إنه زائر (عمر) الذي أتي اليوم..»

نظرت (صوفيا) لـ (مارتن) سريعًا في أمل.. قبل أن تُزج السيدة (ماري) جانبًا.. وتلقي نظرة.. هامسة في سعادة:

- «إنه (طارق)..»

السيدة (ماري).. وهي تعود للداخل تلتقط بندقيتها الصغيرة في حماس:

- «يبدو مِنْ لهجتك أنه مِنْ الأحياء..»

(صوفيا):

- «ماذا سوف تفعلين؟»

أخذت (ماري) تتأكد من حشو بندقيتها بالرصاص.. قائلة:

- «سَتُصبح جزءًا من الأحداث..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الصراع بين (غوستاف) وذلك الرجل حَقًا قويًا..

فالرجل رغم أنه كان أقلَّ في الحجم.. إلا أن بنيته العضلية كانت صلبة.. حاول تصويب مسدسه نحو صدر (غوستاف)، لكن الأخير رفع يده جانبًا.. وأخذ يدفعه بقوة نحو المنزل..

لم يتخلَّ الرجل عن المسدس.. وكل شيء يتحطم في طريقهم.. حتى وصلا لغرفة داخلية..

تعثر الرجل على ظهره نتيجة مقعد اعترض طريقه، حينئذ سقط المسدس على الأرض..

لم يُضيع الوقت في البحث عنه. نهض برشاقة، مُوجهًا ركلة سريعة مُباغطة لوجه (غوستاف).. الذي حاول تفادي الأمر لكنه فشل جزئيًا..

صدمت الركلة جانبًا من وجهه.. لكن دون تأثير.. عاد الرجل للأرض مُحاولًا توجيه ركلة أخرى..

لكن (غوستاف) كان مستعدًا هذه المرة. تفادي الركلة.. وحان الوقت كي يقول كلمته..

وجه له صاعدة يماني غاضبة.. جعلت الرجل يطير في الهواء.. ويرتطم ظهره بدولاب ملابس..

انقض عليه (غوستاف) بمزيد من الغضب.. ومسكه من رابطة عنقه.. وبدأ يُكبل له عدة لكمات سريعة.. تفادي الرجل غالبيتها برشاقة.. رغم الدماء التي بدأت تسيل من أنفه وفمه!!..

غاضب ذلك (غوستاف) بشدة.. ولم يجد أمامه سوي مُعاودة دفعه للخلف.. كي يرتطم ظهره بدولاب الملابس من جديد..

قال الرجل ساخرًا:

«loser..» -

ثم ضرب أنف (غوستاف) برأسه.. كانت الضربة قوية ومؤثرة لدرجة أن الأخير تراجع بعدم اتزان..

لم يُضيع الرجل تلك الفرصة.. وارتفع في الهواء موجهًا لـ (غوستاف) ركلة ثانية أصابت وجهه.. ثم الثالثة.. ورابعة.. وخامسة..

قبل أن يتعد بسرعة.. محاولًا البحث عن مسدسه..

وصلت أصابعه للمسدس.. ومن الوضع نائمًا حاول تصويبه نحو (غوستاف).. والذي رغم كل ما أصابه، كان ما زال واقفًا على قدميه..

خرجت رصاصة.. حاول الأخير تفاديها.. لكنها احتكت بجانب بطنه من الناحية اليمنى..

أثار هذا غضب (غوستاف) لأقصى درجة.. مما جعله يركل المسدس من يد خصمه، قبل أن يمتطيه كالجواد.. وبدأ سيمفونية إيقاعية من اللكمات المتتالية، أصابت جميعها وجه الرجل.. ففقد الوعي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في نفس الوقت تقريبًا، كان العجوز (جاك) يشتبك مع ذلك الرجل بعنف.. أيضًا (طارق) و(عمر)..

استمر الصراع لثوان.. والذي كاد أن ينتهي لصالح رجال (كونر)، قبل أن تظهر فجأة السيدة (ماري).. وتطلق ذلك الطلق الناري المزعج في الفراغ.. وتسحب أجزاء البندقية كي تُعدها لطلق آخر.. صارخة:

- «كفى..»

توقف المشهد.. و(طارق) ينهض من على الأرض ببطء.. كذلك العجوز (جاك) وهو يتأملها بفضول ودهشة انعكست على وجهه!.. هنا التقت أعينهم لأول مرة!.. ولسبب غير مُبرر أصاب (ماري) الارتباك!!.. لدرجة أنها أشاحت بوجهها.. ونظرت للدكتور (عمر).. متسائلة:

- «هل أنت بخير؟»

اقترب منها يقول:

- «نعم..»

في تلك اللحظة ظهر (غوستاف) قادمًا من الداخل، فصوبت (ماري) بندقيتها نحوه سريعًا.. مما جعل (عمر) يستطرد بلهفة:

- «إنه معنا..»

(ماري).. وهي تُعيد تصويب البندقية نحو رجال (كونر):

- «أعرف.. لقد شاهدته يصعد مع أصدقائك..»

وأشارت نحو (طارق) و(جاك)..

تجاهل (غوستاف) كل ذلك.. وتقدم يضع قيودًا حديدية بيد رجال (كونر).. وهو يدفعهم بقسوة نحو الأمام..

تنهد (عمر) قائلاً:

- «لقد تمادي (توم) تمامًا هذه المرة..»

(غوستاف):

- «إنهم ليسوا رجال (توم)..»

تبادل (عمر) و(طارق) بعض نظرات الدهشة التي لم تخلُ من الفضول.. و(غوستاف) يستطرد بحسم:

- «رجال (توم) ليسوا بتلك المهارة.. أنا أعرفهم جيدًا!.. ذلك مستوي أعلى من السلطة..»

(عمر) بعدم فهم:

- «ماذا تعني؟..»

كاد (غوستاف) يقول شيئًا ما، لكن (ماري) لاحظت تلك البقعة من الدماء التي تكونت تحت قدمه..

- «ما هذا؟..»

واندفعت تفحصه دون تعاون منه.. قبل أن تنظر لوجهه مستطردة بقلق:

- «أنت تحتاج إلى رعاية..»

(غوستاف) بعناد:

- «ليس الآن.. إنه جرح سطحي..»

دفعه (طارق) للانحناء.. كي يري الإصابة.. قال بعدها:

- «هذا الجرح سينزف دون توقف..»

هز (غوستاف) رأسه بعدم رضا.. فقالت (ماري):

- «اطمئن.. لن يأخذ وقتًا طويلًا..»

ران الصمت بينهم لثوان.. قبل أن يستسلم الأخير مرددًا بحلق:

- «حسنًا..»

هنا أسرع (ماري) تقوم بتجهيز أدواتها برفقة (طارق).. لكن بينما كانت تفعل تدخل (جاك) يقول:

- «هل تحتاجين إلى مساعدة؟..»

مرة أخرى أصابها الارتباك دون مبرر!.. لاحظ (طارق) ذلك.. فأفسح له مجالًا ليقف بجوارها..

تأملته قائلة.. وهي تفتح كيسًا صغيرًا به أمبول خيط جراحي:

- «ارتدِ ذلك القفاز..»

أسرع (جاك) يفعل ما طلبته منه بسعادة.. و(طارق) يحاول السيطرة على تلك الابتسامة الساخرة التي كادت أن تفلت..

قال (جاك) في محاولة - سيئة - منه للتودد إليها.. وهو يُشير لـ (طارق):

- «إنه طبيب..»

رفعت حاجبها بدهشة.. مرددة:

- «حَقًّا..»

لكن قبل أن يجيب (طارق) بأي كلمة، انتفض الجميع فجأة.. عندما صرخ بهم (غوستاف):

- «بسرعة.. لن أبقى هنا طيلة الليل..»

oo oo oo oo oo



12 - الفريق..

الرابعة وثمانية عشرة دقيقة صباحًا: ٠٤:١٨ AM

خليج المكسيك من جديد.. الأمواج التي ارتفعت.. مياه الأمطار.. صوت الرعد.. البرق.. وسط كل هذا أنزل ذلك الرجل منظرًا للرؤية الليلية من أمام عينيه.. وأسرع نحو كابينة قيادة اليخت الذي يوجد فوقه.. يلتقط هاتفه الجوال متممًا:

- «لم تصل الرسالة يا سيدي في الموعد المتفق عليه.. وهذا يعني أن هناك صعوبات قد واجهتهم..»

(كونر) بقلق.. بعد لحظة صمت:

- «انتظر خمس دقائق أخرى.. ثم غادر موقعك..»

الرجل بلهجة أخيرة:

- «حاضر يا سيدي..»

وأنهي الاتصال..

ظل (كونر) يفكر شاردًا لبرهة.. قبل أن يتمتم:

- «حظ سيئ..»

ثم أخذ يُجري تلك المكالمات بالجمعية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة وخمس وعشرون دقيقة صباحًا: ٠٤:٢٥ AM

أحد الأفراد يدلف إلى رئيس الاستخبارات الأمريكية مرددًا:

- «تم رصد تلك المكالمات منذ دقائق..»

رئيس الجهاز بشيء من الإرهاق:

- «مَنْ؟»

الرجل:

- «(كونر) يا سيدي..»

رئيس الجهاز بدهشة:

- «غريبة!.. إنه لا يرتكب أخطاء مثل هذه..»
الرجل وهو يقدم له جهاز التسجيل:
- «لم يكن حذرًا بما يكفي هذه المرة.. ربما التوقيت كان السبب..»
استمع رئيس الجهاز إلى صوت (كونر).. قبل أن يتوقف متسائلًا:
- «أين البقعة التي كان يوجد فيها رجله؟..»
- «خليج المكسيك..»
نهض رئيس الجهاز يفكر.. قبل أن يقول:
- «واضح أنه يحاول التغطية على شيء ما..»
- «سيكون الاقتراب منه صعبًا يا سيدي..»
رئيس الجهاز بغموض:
- «لا تستطيع توقع ما تحمله لك الأمواج!..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- الرابعة وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٤:٣٠ AM
توقفت عربة (غوستاف) أمام ذلك المنزل المنعزل قبل أن يهبط منها (طارق)
و (عمر).. والأخير يتلفت حوله مرددًا:
- «سنبقي على اتصال..»
- «حتمًا..»
مد (طارق) يده ليصافح (غوستاف) لكن الأخير تجاهل ذلك في جمود.. وضغط
دواسة البنزين مبتعدًا عن المكان..
تأمل (طارق) يده المعلق في الهواء.. متممًا بحلق:
- «وغد..»

- لم ينتبه (عمر) لذلك.. وعاد للخلف عدة خطوات، ليقف أمام تلك السيارة
الأخرى التي كانت تتبعهم ببطء.. وتقل كلاً من (مارتن) و(صوفيا)..
قال بهدوء:
- «ستبقون هنا حتى أعود..»
(مارتن) بقلق:

- «هذا ليس ضروريًا؟!.. وما زلنا نستطيع التراجع..»

(عمر) بإصرار:

- «ليس أمامنا حل آخر..»

وتحرك نحو المنزل.. بينما دار (طارق) حول السيارة ليجلس بالمقعد الخلفي، تأملته (صوفيا) حتى ابتلعه الظلام.. قبل أن تقول:

- «أشعر بالقلق..»

(مارتن) شاردًا:

- «جميعنا كذلك..»

وصل (عمر) لباب الفيلا الصغيرة.. ودون تردد ضغط زر استدعاء صغيرًا بدا أمامه، غاب الرد حتى كاد أن يضغطة مرة أخرى..

لكن انفتح الباب.. ليظهر خلفه مدير مركز الظواهر الإنجليزي الأصل.. والذي يعمل به (عمر)..

كان الرجل في حالة يرثي لها، يبدو أنه غير معتاد على تلك النوعية من الزيارات، خاصة في ذلك التوقيت..

أغلق المدير الروب الثقيل الذي كان يرتديه على صدره.. وهذَّب بقايا شعره ناحية الخلف، قبل أن يتأمله بجمود لثوان.. ثم يقول:

- «ادخل..»

دلف (عمر).. وأغلق المدير الباب.. قبل أن يعود لينظر إليه محاولًا معرفة سبب الزيارة..

- «وجهك يحمل الكثير..»

(عمر) بحدة مباشرة:

- «أريد بعض التعاون..»

تحرك المدير أكثر نحو الداخل.. متممًا بسخرية غير معتادة بينهم:

- «المتزوجون لا يعملون ليلة الكريسماس يا بني؟!.. حتى ولو كانت هناك قضية أمن قومي تنتظرهم!..»

لم يُعلق (عمر) على العبارة.. وتركه يُعد لنفسه كأسًا من الكحول.. مستطرّدًا:

- «أعرف أنك لا تشرب..»

(عمر) بحسم:

- «كل ما أطلبه هو استخدام إمكانيات الجهاز.. ولو بشكل غير رسمي..»

رشف المدير بعض الكحول.. وسار نحو المدفأة.. متممًا بتفكير:

- «كيف؟..»

شعر (عمر) أنه سيستجيب.. فأخذ سريعًا يشرح له كل المستجدات، قبل أن ينتهي.. ويعود المدير قائلاً:

- «لا أريد تركك وحيدًا أكثر من هذا.. إنها لعبة خطيرة.. لكنها تستحق..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة وسبع دقائق صباحًا: ٠٧:٠٤ AM

أنهى الدكتور (باز) ما أتى من أجله في غرفة (تورادو).. أغلق حقيبة الجهاز.. ورافق مُساعده نحو الخارج، قبل أن يرفع عن وجهه ذلك القناع..

- «لم تغب طويلًا في الفحص..»

كان صاحب العبارة هو (شاؤول).. والذي ظهر فجأة من العدم أمامهم.. ومن خلفه اصطف أربعة رجال في صمت..

شعر الدكتور (باز) بالقلق، بعدما تطلع إلى وجوههم المتحفزة.. قائلاً:

- «الأمر كان متابعة روتينية للنظام الحيوي للرجل ليس أكثر، لذلك لم نأخذ وقتًا..»

اقترب منه (شاؤول) يبتسم في برود.. متممًا:

- «هل من الممكن أن نتشارك النتائج؟..»

ارتبك (باز) دون مبرر.. قائلاً:

- «ليس هناك نتائج أصلًا..»

وتطلع لوجوه الرجال.. مستطرّدًا بنفس اللهجة:

- «إنه مجرد فحص كما أخبرتك..»

وضع (شاؤول) يده بوقاحة على الحقيبة.. متممًا:

- «حتمًا ليس لديك مانع أن آخذ فكرة..»

ران الصمت للحظات.. قبل أن يسحب (باز) الحقيبة من يده.. قائلاً بحدة:

- «هذا ليس من حقك..»

وتراجع للخلف....

توترت الأجواء.. تحفز الرجال؟!.. قبل أن يضيف (شاؤول) بتوعد.. مُشيرًا لرجاله بالتراجع:

- «يبدو أنك تخشي شيئًا..»

(باز) بمزيد من الحدة:

- «هذه الحقيبة تحمل أبحاثًا خاصة.. وأنا لا أريد أن يطلع أحد عليها، هذه أبسط حقوقي العلمية..»

اقترب منه (شاؤول) ينظر في عينيه.. قائلاً بتلذذ ساخر:

- «أتفق معك طبعًا لو أن الأمر يتعلق بما تحلم به من معادلات أثناء النوم ، لكن ما نواجهه يخص الأمن القومي للبلاد.. وأنا المسئول عن تلك الوحدة الآن.. بكل مَنْ فيها.. وما تصدره مِنْ نتائج..»

ازدرد (باز) لعابه.. وهو يتطلع لمساعدته.. متسائلًا في بلاهة:

- «ماذا يعني هذا؟..»

(شاؤول) بمزيد من السخرية:

- «أن تعطيني الحقيبة بإرادتك.. بدلًا من.....»

وأشار لرجاله بما يعني استخدام القوة....

تجمد الموقف.. وبدأت علامات التراجع فوق وجه (باز).. فاسترخى الجميع ، لكن فجأة انطلق الأخير مهرولاً ليدخل تلك الغرفة.. ويغلقها خلفه..

كان حائطها زجاجيًا.. وليس لها فتحات تهوية أو مخرج..

وقف أمامها (شاؤول) ببرود.. متمتمًا:

- «عليك إنهاء ذلك فورًا!!.. تعرف المصير الذي ينتظرك!!..»

لم يحرك (باز) ساكنًا!.. مما استفز (شاؤول).. وجعله يُشير لرجاله.. الذين بدءوا في محاولة فتح الغرفة..

أخرج (باز) هاتفه.. وهو يتطلع لهم في رعب.. و....

اتصل بـ (توم)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة وإحدى عشرة دقيقة صباحًا: ٠٤:١١ AM

ارتدي (توم) ذلك الزي الواقى من الرصاص.. قبل أن يُغلق قميصه عليه..
ويلتقط هاتفه الجوال، ليرد على تلك المكالمة المُلحة..

- «دكتور (باز)؟..»

أسرع الأخير يقول بلهفة:

- «(شاؤول) يريد قتلي..»

ضاقت عينا (توم) في غضب شديد.. مرددًا:

- «بهذه السرعة!!.. ماذا حدث؟..»

انطلق (باز) بعبارات غير مُرتبة، يشرح موقفه الحرج.. قبل أن يقتحم الرجال
الغرفة عليه.. ويصرخ تلك الصرخة الأخيرة..

أنصت (توم) في غضب داخلي متصاعد، لما ينقله له الهاتف من أحداث.. قبل
أن يأتيه صوت (شاؤول) البارد.. متممًا:

- «هل تريد شيئًا منه قبل أن أرسله إلى الجحيم؟..»

(توم) بحدة:

- «صارت اللعبة بأوراق مكشوفة الآن..»

(شاؤول) بتلذذ.. وهو يدفع الدكتور (باز) - الفاقد للوعي - بقدمه:

- «هي كذلك منذ البداية..»

(توم) بغضب هائل:

- «لن تجد مكانًا تستطيع فيه الاختباء..»

ضحك (شاؤول).. مرددًا بشماتة:

- «أصبحت لا تملك سوى الكلام..»

وأنهي المكالمة.. بأصداء ضحكة ساخرة.. أشعلت المزيد والمزيد من الغضب
بداخل (توم)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة وخمس عشرة دقيقة صباحًا: ٠٤:١٥ AM

أنهي (شاؤول) المكالمة مع (توم).. والتفت لرجاله قائلاً بحسم:

- «أريد حرق كل شيء، أريد أن يصل ذلك المغرور.. ليجد كل ما ينتظره مجرد قَحم..»

قوانين أي جماعة متطرفة عبر التاريخ - خاصة الصهاينة - هي السائدة دائمًا على رجالها، حتى وإن كانت على خطأ..

أماء الرجال برءوسهم.. في حين أسرع (شاؤول) في حمل حقيبة الدكتور (باز).. وانطلق هاربًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة وتسع وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٤:٣٩ AM

لم يستطع (غوستاف) البقاء طويلًا دون جَعة!.. وجد نفسه يتوقف أمام ذلك البار كعادته بشكل عشوائي.. ويدلف طالبًا مشروبه المفضل..

كانت الأجواء قد ذهبت نحو الهدوء.. ولم يعد يبقى سوي هؤلاء المتسكعين..

- «جَعة..»

وضع السّاقى أمامه ذلك المحتوي الزجاجي الكبير، الذي يُذكرك بعصير القصب عندنا في مصر.. وانصرف يجمع تلك الأكواب الفارغة المنتشرة في المكان.. تمهيدًا للغلق..

تناول (غوستاف) - وحيدًا - رشفة كبيرة من الكوب - شاردًا - وعقله يحاول ربط تلك الزحمة من التفاصيل في عقله..

هنا.. سمع تلك الصرخة الأنثوية تأتي من مكان ما بآخر البار!.. دفعه الفضول لإلقاء نظرة..

فوجد رجلًا ضخماً.. يضرب فتاة ضعيفة.. بدا تمامًا أنها فتاة ليل.. كان يمسكها من شعرها الأحمر.. والأخيرة لا تتوقف عن النحيب..

أدار (غوستاف) وجهه.. محاولًا تجاهل الأمر، لكن صوت عذاب المرأة بدا قاسيًا عليه..

أخذ رشفة جَعة ثانية.. ثم نفَسًا عميقًا.. ونهض يتجه نحو الرجل الضخم في تَوْدَة؟!..

ودون أدنى إنذار لشيء.. أو حتى إضافة كلمة.. صفع (غوستاف) الرجل على مؤخرة عنقه؟!..

استدار الضخم ينظر له في ذهول.. مرددًا:

- «مَنْ أنت يا رجل؟!..»

(غوستاف) بسخرية:

- «شبح عيد الميلاد..»

وصفحه مرة أخرى بشكل أكثر قسوة.. مستطردًا:

- «أو الرجل الذي سيجعل تلك الليلة تعلق في ذاكرتك لفترة طويلة..»

حاول الضخم المقاومة لحفظ بقايا كرامته التي أُهدرت.. ووجه لكمة غاضبة لفك (غوستاف).. الذي تفادها ببساطة.. ثم أخذ يُكيل له عدة لكمات سريعة جعلته يسقط على الأرض..

جَره بعدها نحو عمود من المعدن - كان جزءًا من ديكور المكان - قبل أن يُخرج تلك الأغلال.. ويربطه به..

نظرت المرأة له بامتنان.. متممة:

- «أشكر..»

ثم انحنى تبحث في جيب الرجل الداخلي عن حافظته. أخرجتها بصعوبة.. قبل أن تأخذ ما بها من مال.. مستطردة بتأثر:

- «إنه مالي..»

ألقت بعدها الحافظة الفارغة في وجه الرجل.. ثم بصقت عليه.. وأسرعت تغادر المكان..

تأملها (غوستاف) دون تدخل.. ثم انحني يلتقط الحافظة الفارغة.. ويقرأ ما بها من أوراق. وجد الرجل - تَوًّا - قد خرج من السجن.. ويخضع للرقابة.. تحرك قائلاً عبر جهاز اتصال داخلي رسمي:

- «أرسلوا سيارة إلى (٢٣٤٢).. انتهاك إطلاق سراح مشروط..»

وأخذ يخبرهم ببقية العنوان..

تذمر صاحب المكان - والذي كان يُمني نفسه بالغلق - مرددًا:

- «لم يكن هناك داع لذلك..»

تجاهله (غوستاف).. واضعًا ورقة مالية فوق البار ثمن مشروبه.. ثم انصرف.. لكن بينما كان يتحرك نحو سيارته.. رن الهاتف..

(ميراندا) بلهفة:

- «تقريبًا استطعت تحديد مكان الدكتور (تورادو)..»

(غوستاف) بحدة:

- «لا أحب كلمة تقريبًا تلك..»

وصعد يجلس أمام عجلة قيادة سيارته.. وهي تقول بضيق صدر:

- «لن نخسر شيئًا لو تأكدنا..»

وأخذت تُخبره بالعنوان..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



13 - المصيدة..

الرابعة وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٤:٣٠ AM

جلس العجوز (جاك) بجوار السيدة (ماري) أمام مدفأتها، في عزلة عن العالم، يتأملان ضوء البرق.. ورزاز الأمطار العالق بالزجاج..

قبل أن يرشف بعضًا من مشروبه.. متممًا بدهشة:

- «لم أكن أتخيل في بداية اليوم أن أخوض كل هذا!..»

أماءت السيدة (ماري) برأسها.. متممة أيضًا بنفس الدهشة:

- «أنا أيضًا!!..»

تنهد (جاك) متسائلًا:

- «ما رأيك أن تُحدثيني عن ابنك؟..»

السيدة (ماري) بعث:

- «ليس قبل أن تُحدثني عن زوجتك أولًا..»

ضحك الاثنان.. ثم فجأة توقف (جاك) بشكل درامي، ينظر لها قائلاً:

- «يبدو أننا لا نملك رغبة في ذلك..»

عادت تتأمل الأمطار في الخارج بألفة.. متسائلة:

- «لماذا لم تذهب معهم؟»

هز (جاك) كتفيه.. مُجيبًا:

- «لا أعرف..»

ثم نظر إليها من جديد.. مستطرّدًا بإرهاق:

- «ربما لأنني وجدت شيئًا ما هنا..»

قالت في عبث:

- «فعلاً.. لن تجد أفضل من ذلك المشروب..»

تعالّت ضحكاتهم من جديد، قبل أن يعود الصمت ليغلفهم!.. وكل منهم يحاول فهم ما أصاب مشاعره من ارتباك!!..

يبدو أنهم قد ملوا أخيرًا من التظاهر بالقوة!..
كانوا في احتياج شديد للبقاء معًا.. لذلك لم يفكروا طويلًا..
تشابكت أيديهم عبر المقاعد.. وراح كل منهم في سبات عميق!!..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة وخمس وخمسون دقيقة صباحًا: ٠٤:٥٥ AM
شعرت (صوفيا) و(مارتن) بالآلفة الشديدة تجاه العودة لمعملهم في مركز
الظواهر، والأخير يضع ثلاجة الآجار - التي أحضرها (طارق) - جانبًا.. ثم يقول
بحماس:

- «كأنني لم أكن هنا منذ ساعات..»
ارتمت (صوفيا) فوق مقعدها المفضل.. قائلة بإرهاق:
- «فعلاً.. أحداث كثيرة مرت بنا الساعات الماضية..»
بدأ (مارتن) يضغط زر بعض الأجهزة.. فاستوقفته (صوفيا) مُردفة:
- «مهلاً.. ماذا تفعل؟.. أنا أكاد أسقط من التعب..»
(مارتن):

- «لماذا نحن هنا إذن؟..»
لم تملك أي رد.. وزفرت بقوة.. وهي تتأمله يُعد كل شيء للعمل..
- «أين ذهب (عمر)؟..»
أجابها (مارتن) دون أن يتوقف عما يفعل:
- «ذهب لإحضار شيء ما..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة وخمس دقائق صباحًا: ٠٥:٠٥ AM
ضوء الفجر الأول...
توقفت تلك السيارة التي يقودها (طارق) بحذر، من حطام سيارة (عمر) حيث
تلقي إصابته، قبل أن يهبط منها الاثنان.. ويحشر الأخير نفسه داخلها مرددًا:
- «لقد وضعتها هنا..»

دار (طارق) حول حطام السيارة بدوره، ليدخل من الجانب الآخر.. ويشاهد
(عمر) يفتح ذلك الرف.. قائلاً:

- «احتمال ضعيف أن نجدها..»

أخرج (عمر) كيسًا خاصًا مغلقًا.. متممًا بسخرية:

- «كما توقعت..»

كان الكيس يحوي عينة مومياء التابوت.. وشريط فيديو البلدية..

رفع (طارق) حاجبيه في دهشة.. قائلاً:

- «غريبة أنهم لم يفتشوا السيارة!!..»

(عمر) بتفكير:

- «كان لهم هدف آخر غير ذلك..»

أماء (طارق) برأسه متفهمًا.. قبل أن يقول:

- «نعم.. إقصاؤنا..»

بدأ (عمر) الخروج من الحطام.. و(طارق) يستطرد:

- «هل تتوقع أن تجد بها شيئًا؟»

(عمر) وهو يتأوه من إصابته:

- «من يدري؟!.. ربما تحمل إجابة..»

وضع (طارق) يده على كتفه.. متممًا:

- «لقد خضت الكثير الليلة.. ولا بد أن ترتاح قليلًا..»

(عمر) بحسم:

- «ليس قبل كشف حقيقة ما يحدث..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة ودقيقة صباحًا: ٠١:٠٥ AM

توقفت عربة (غوستاف) قريبًا من تلك القاعدة، قبل أن يُشهر مسدسه.. ويتقدم في جراحة من المكان..

في نفس اللحظة التي ظهرت فيها عربة (توم).. ومن خلفها عربة رجاله.. وبعض عربات الجيش، تفتح الموقع بعنف..

هبط (توم) سريعًا يصوب مسدسه نحوه.. فرفع (غوستاف) مسدسه بدوره.. وظل كل منهم يتقدم نحو الآخر بحذر، حتى صارت المسافة بينهم

متراً واحداً..

هنا تدخل أحد القادة العسكريين يصرخ بحدة:

- «هاي.. لا داعي لذلك..»

ونظر لكليهما مستطردًا بحزم:

- «نحن في جبهة واحدة..»

ظل (غوستاف) ينظر لـ (توم) بغضب لثوان.. قبل أن يُنزل مسدسه.. قائلاً بتوعد:

- «حسناً.. لنؤجل ذلك..»

وبدأ في اقتحام الموقع مع كل الرجال..

كان مركز الأبحاث خاليًا تمامًا من أي أحد.. تقدم (توم) يقول بتوجس:

- «لا أشعر بالارتياح..»

(غوستاف) بسخرية:

- «لا يوجد جديد في ذلك!..»

رمقه (توم) بنظرة غاضبة سيطر عليها سريعاً.. وهو يُكمل رحلته نحو الداخل، متنافسًا مع (غوستاف) في الأمر..

حتى وصلا لغرفة.. وجدا فيها الدكتور (باز) مُقيدًا في مقعد.. ومن حول صدره، التفت قبلة.. يزحف عداها الرقمي نحو التراجع..

لدرجة أنه لم يعد يبقى على انفجارها سوي دقيقة وسبع ثوان..

ضحك (باز) في هيستريا:

- «لقد قتل ذلك الوغد الجميع..»

أصاب (توم) التوتر.. بينما أفسح (غوستاف) المجال، لخبير متفجرات، انحنى مباشرة على الدكتور (باز).. حاملاً تلك الابتسامة الساخرة.. وهو يردد:

- «Merry Christmas..»

تأمله الدكتور (باز) بمزيد من الهستيرية - صامتًا - حتى مر الوقت.. ولم يعد يبقى إلا عشرون ثانية..

عندئذ غادر الجميع الغرفة.. وصرخ (باز) ضاحكًا:

- «نهاية تناسب تلك الليلة..»

ابتسم الخبير.. قائلاً بلامبالاة مخيفة:

- «لماذا القلق؟.. نحن في النهاية ذاهبون إلى الجحيم..»

وقطع ذلك السلك.. لتتوقف القنبلة.. وهو يستطرد ساخرًا:

- «كل ما نفعله أننا نؤجل ذلك قليلًا كل مرة..»

ران الصمت لثوان، قبل أن يعود الجميع للغرفة بسرعة.. ويخلص بعضهم (باز) من تلك الأسلاك العنكبوتية..

كان لا يصدق أنه نجى. أخذ ينظر لهم في ذهول.. و(توم) يسأله:

- «أين ذهب (شاؤول)؟»

ظل (باز) شاخصًا في الجميع.. فصفعه (توم).. مكرّرًا السؤال..

- «لا أعرف.. لا أعرف..»

حينئذ أتى ذلك الانفجار من غرفة أخرى بالمركز.. سقط (توم) أرضًا بجوار (باز).. بينما احتمي (غوستاف) خلف منضدة كبيرة من المعدن..

ردد (باز) من موقعه على الأرض قائلاً بخبال:

- «لقد كُنت الأولى؟!..»

مسكه (توم) من ملابسه.. صارخًا:

- «ماذا تعني؟»

(باز):

- «هناك خمس قنابل أخرى.. سمعتهم يرددون ذلك..»

حالة من الفوضى سادت المكان بعد تلك العبارة.. خاصة (توم) الذي سحب (باز) من على الأرض.. وبدأ مهوولًا يحاول الخروج من المكان..

توقف (باز) يقول فجأة:

- «الدكتور (تورادو)؟..»

نظر (توم) لـ (غوستاف).. وهو يسأل بحدة:

- «هل ما زال حيًّا؟..»

أشار (باز) نحو ركن ما.. مرددًا:

- «نعم..»

(توم) بحسم:

- «لا بد من إخراجه..»

وكاد يشرع في العودة، لكن انفجرت قبلة أخرى.. أطاحت بجانب كبير من ردهة المركز الواسعة.. صرخ (غوستاف):

- «دع تلك المهمة لي..»

وغاب داخل المركز.. وسط سحب الدخان والنيران..

تأمله (توم) بغيرة.. قبل أن يضيف:

- «لن تكون وحيدًا..»

ولحق به.. بينما أكمل الدكتور (باز) طريقه نحو الخارج.. مرددًا:

- «جنون.. كل ما يحدث جنون..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة وثلاثون دقيقة صباحًا: AM ٠٥:٣٠

انصرف (مارتن) يفحص عينة النخاع، التي تم أخذها من المومياء، بينما (عمر) و(طارق) يشاهدان فيديو الفحص الذي تم تصويره دون علم أحد في مبني البلدية..

التف حول تابوت الفحص ثلاثة علماء، مستر (فويت) عالم آثار.. مستر (مينرو) إنسانيات.. وبروفيسور (تورادو) تكنولوجيا جزيئية..

مر الوقت بملل حتى فجأة ظهر (توم) بإحدى زوايا الكاميرا..

ضاقت عينا (طارق) قائلاً:

- «توقف..»

استجاب (عمر) له متسائلًا:

- «ماذا؟»

نهض (طارق) يُشير لنقطة.. مضيقًا:

- «انظر.. إنه يضع شيئًا ما..»

أعاد (عمر) اللقطة عدة مرات.. قبل أن يضيف:

- «معك حق..»

ثم شرد يفكر:

- «هو مَنْ أخرج الفيروس للحياة إذن..»

أضاف (طارق):

- «لكنه يحاول الآن احتواء الوضع..»

(عمر):

- «بعد أن خرجت الأمور عن السيطرة..»

انضم لهم (مارتن) يقول:

- «عينة المومياء..»

(عمر) بلهفة:

- «هل وجدت بها شيئاً؟..»

- «نعم..»

واعتدل يضيف:

- «النتائج تطابقت مع فيروس لم أكن أعتقد أنه قديم لتلك الدرجة..»

(طارق) بفضول:

- «ما هو؟..»

(مارتن) بحسم:

- «سبب وفاة صاحب تلك المومياء، حمي نزفية نطلق عليها الآن اسم حمي (لاسا)..»

صمت (طارق).. و(عمر) يسأل:

- «وهل هذا له علاقة بما يحدث؟..»

نظر (مارتن) لوجوههم في إثارة.. قبل أن يقول:

- «نعم..»

وأشار لشاشة المعمل الكبيرة.. مستطردًا:

- «فيروس (لاسا) يتطابق تمامًا مع (نيتروما ٢).. عدا تلك القاعدة النيتروجينية الغامضة..»

زفر (عمر).. قائلًا بحيرة:

- «لم أعد أفهم شيئًا..»

oo oo oo oo oo



14 - الأخير..

(اليوم الأول).. غروب الشمس.

ضفاف نهر الميسيسيبي⁹ .. حقبة زمنية غابرة..

مياه النهر تنساب بهدوء، في يوم ضبابي لم تظهر له شمس.. خيام مصنوعة من أفرع الأشجار المجدولة وجلود الحيوانات.. بيوت متباعدة من الطين.. أوان فخارية.. رعوس وحوش مُعلقة فوق سنون رماح..

يظهر ذلك القارب البدائي ليقترّب في صمت من ضفة النهر. كان يحمل ستة أفراد من السكان الأصليين للمكان..

توقف القارب.. قبل أن يردد أحد أفراد قبيلة (إيتزا) في سعادة:

- «لقد عاد..»

انتشر الخبر سريعًا بينهم.. في الوقت الذي هبط فيه رُكّاب القارب، عدا أحدهم.. كان مريضًا يرتعش في القاع..

بُهِت الجميع عند رؤية ذلك.. وسادت الهمهمة:

- «إنه (رايينال).. ابن زعيم القبيلة..»

تم نقله على الفور إلى إحدى الخيام، قبل أن يظهر الكاهن العجوز (زوبان) ، يفحص ولي العهد الشاب..

كان يرتعد من الحمى.. وقد بدأت تنتشر حول رقبتة.. وأماكن متفرقة من جسده، تلك البقع الحمراء..

اتسعت عيناه في رعب.. يردد بلغة الـ (اتشي) قائلاً:

- «اللعنة..»

وأخذ يعمل على طقوسه الوثنية.. في لحظة دخول زعيم القبيلة، حاملاً ذلك الوجه الصارم.. والتأثر في نفس الوقت..

توقف (زوبان) عما يفعل حين رؤيته.. واعترضه يقول بحسم:

- «لا تقترب..»

لكن الزعيم أزاحه.. واقترب ينظر لولده ويلمسه في تأثر. احترم الجميع ذلك.. وبقي (زوبان) بعيدًا صامتًا، حتى تمتم:

- «كانت رحلة صيد لعينة..»

والتفت لأحد حراسه يسأله:

- «منذ متي أصابه ذلك؟»

نظر الحارس نحو الأرض في أسف.. مُجيبًا:

- «يومان يا سيدي..»

اقترب الزعيم من كاهنه يقول:

- «ماذا أصابه؟..»

نظر له (زوبان).. مرددًا في حزم:

- «لعنة الشمال..»

كان زعيم القبيلة يعرف جيدًا ماذا تعني تلك الكلمة.. التي أبادت قبائل من قبله.. إنها الأمراض الوبائية.. والتي كانت منتشرة في تلك الحِقبة من الزمن.. الأمراض التي تنتهي الآن يَحَقن جرام مضاد حيوي ويريد؟!.. كانت تُبيد قبائل.. وتمسح حضارات من على الخريطة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(اليوم الثاني).. مساءً..

فجأة بدأ (رابينال) يقيء دماءً.. فزع كل مَنْ هم حوله.. وأخذ (زوبان) يحاول السيطرة على الأمر، عن طريق إعطائه ذلك السائل الأخضر، دون جدوى.. دلف زعيم القبيلة يحتضن ولده.. الذي نظر له نظرة أخيرة.. ثم استقر جسده..

أخذ يهزه عدة مرات.. كأنه غير مُصدق أن ذلك يحدث.. فوضع (زوبان) يده على كتفه متممًا في شرود:

- «لقد عبر إلى الأجداد..»

بكي الزعيم على ولده الوحيد بعض الوقت.. قبل أن يعود (زوبان) مستطرّدًا بحزم:

- «لا بد من حرقه..»

في تلك اللحظة، دلف حكماء القبيلة.. يواسون زعيمهم.. وراى الصمت.. قبل أن يترك الرجل جسد ابنه.. ويتذكر أنه قائد، ليس من حقه ممارسة الضعف.

رافقهم للخارج.. وبدأت طقوس حفل التأيين والحرق على ضفاف النهر..
والتي بعدما انتهت، ظل (زوبان) ينظر للسماء.. وينثر ذلك التراب الأحمر في
الفراغ؟!.. ويتمتم بتلك العبارات غير المفهومة..
متوسلاً للآلهة أن تحل عنهم اللعنة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(اليوم الثالث).. صباحًا.

ظهرت على كل رفقاء (رايينال) في رحلة الصيد نفس الأعراض التي أصابت
ابن زعيمهم..

عندئذ سادت القبيلة حالة من الرعب.. وبدأت طقوس الصلاة التي لا تنتهي
ليل نهار، خاصة من قبل النساء..

أمرهم الزعيم أن يلتزم الجميع كُوحه.. وبقي رجاله لتنظيم ذلك.. لكن كل هذا
لم يمنع الفوضي والذعر من الانتشار..

تحولت القبيلة فجأة إلى مقبرة جماعية.. فكل ساعة كانت تودع أحدًا..

انفلت البعض.. واتهم الزعيم بأن ابنه هو مَنْ جلب اللعنة.. مما جعله يفعل
بعض الأشياء الاستثنائية، كي لا ينفلت الوضع أكثر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(اليوم العاشر).. صباحًا.

اجتمع (زوبان) مُمَثِّل السلطة الكهنوتية، مع زعيم القبيلة.. وما بقي من
الحكماء كبار السن لبحث الأمر..

قال الزعيم بضعف بدا واضحًا جدًّا عليه:

- «لقد بلغ ما أصابنا (هوناك) زعيم قبيلة (الكوكوم)..»

(زوبان) بعيون دموية:

- «إنها فرصته التي ينتظرها..»

الزعيم:

- «والعمل؟..»

أحد الحكماء:

- «ليس أمامنا سوي الرحيل.. نحن غير قادرين على القتال..»

أضاف حكيم آخر:

- «أنا أفضل الموت كمحارب (إيتزا) على أن أقع في الأسر..»
(زوبان) بغموض:

- «نحن لا نقوي على الرحيل الآن..»
الزعيم:

- «ولا نقوي أيضًا على القتال..»

سادت الحيرة الوجوه.. قبل أن يعود (زوبان) ينظر للفراغ.. متممًا بمزيد من الغموض:

- «أسوأ عقاب قد نفعله في (هوناك) أن نجعله يأتي إلى هنا.. في كل الأحوال لن يجد أحدًا في انتظاره سوى الموت..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(اليوم السابع عشر).. أول ضوء فجر..

ضباب يغلف كل شيء.. اختلط بدخان نيران في نهايتها..

قَئِيت قبيلة (إيتزا) تمامًا.. وساد الخراب كل شيء..

تأمل الزعيم - المريض - الآثار الباقية للمكان.. وتلال الجماجم البشرية الصغيرة المنتشرة هنا وهناك بعد حرق الجثث..

قبل أن يقول بجمود:

- «الآن فقط فهمت عبارتك..»

تطلع (زوبان) للفراغ كعادته.. متممًا بجنون:

- «الأجداد ينتظرون.. إنه النداء..»

سقط الزعيم على الأرض.. قائلاً بضعف شديد أخير:

- «أريد أن ألحق بهم..»

ثم فارق الحياة..

وضع (زوبان) عصاه على صدره.. متممًا بنفس لهجة الجنون:

- «إنك الأخير.. الذي لا بد أن يروي القصة..»

وأخذ يُعد ذلك التابوت.. ويكتب تلك العبارة من الرسوم اللفظية على جلد حيوان.. ويضعها معه..

جر التابوت لتلك الحفرة العميقة المعدة سلفًا.. ووارى عليه التراب..
بعدما انتهى.. نظر للمكان تلك النظرة الأخيرة.. ثم حمل بعض الطعام والماء
على ظهره..
وأخذ يتعكز على عصاه القصيرة، مُبتعدًا ببطء نحو الجنوب.. وصوت رجال
(هوناك) يحتلون أرض (إيتزا)¹⁰..
فتوقف لثانية يردد دون أن يلتفت للوراء:
- «الموت مصير الجبناء..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



15 - حمى لاسا..

الحمى (النزفية الفيروسية) ..

مصطلح عام يشير إلى مرض مصحوب عادة بنزيف دموي، تسببه بعض الفيروسات.. وتُعد من الأمراض المُعدية التي يمكن أن تُسبب مرضًا شديدًا يهدد الحياة.

فهي تُتلف جُدران الأوعية الدموية الصغيرة، ما يجعلها مصدر فقد للدماء.. وهذا ما يُبرر وجود بعض البقع الزرقاء، غير المُبررة تحت الجلد أثناء المرض. تُسبب الحمى النزفية عدم قُدرة الدم على التجلُّط.. وزيادة في السيولة..

تحدث هذه الأمراض بصورةٍ شائعة في المناطق الاستوائية من العالم.. وعندما تحدث في الولايات المتحدة أو أوروبا أو شمال أفريقيا، فغالبًا ما يكون ذلك في الأشخاص الذين سافروا دوليًا مؤخرًا.

تنتشر الحمى النزفية عن طريق مُخالطة سوائل الجسم الناتجة من الحيوانات، الأشخاص، الحشرات..

وللأسف الشديد، لا يُوجد علاج حالي يُمكن أن يشفي من أمراض الحمى النزفية الفيروسية.

قال البعض: إن عقار (الريبافيرين) المضاد للفيروسات (ريبيتول وفيرازول وغيرهما) من الممكن أن يعمل على تقصير مسار بعض الإصابات.. ومنع المضاعفات.. وليس الشفاء التام.

تتوفر بعض التطعيمات لعددٍ قليل فقط من أنواع الحمى النزفية الفيروسية.. وإلى أن يتمَّ ابتكار تطعيمات إضافية، تعمل منظمة الصحة العالمية على نشر ثقافة الوقاية خير من العلاج.

تختلف أعراض الحمى النزفية الفيروسية حسب نوع الفيروس.. ودرجة مناعة المريض.. لكنها تجتمع في بعض الأعراض التي نستطيع اختصارها في الآتي:

ارتفاع شديد في درجة الحرارة.. صداع.. هبوط حاد في الدورة الدموية.. إرهاق عام وتكسير في العظام والمفاصل.. آلام بكل عضلات الجسد.. نزيف من بعض الأماكن، خاصة فتحات الوجه.

أنواعها الشائعة.. فيروسات (رملية) (Arenavirus):

مثل حمي (لاسا) (Lassa)، حمي (جونين) (Junin)، حمي (ماتشوبو) (Machupo).

فيروسات (بنيأوية) (Bunyaviridea):

مثل حمي (قرم الكونغو النزفية) (CCHF)، حمي (الوادي المتصدع النزفية) (RVF)، حمي هانتان (Hantaviruses).

فيروسات (خيطية) (Filoviridea):

مثل (إيبولا) (Ebola) و(ماربورغ) (MVD).

الفيروسات المٌصفرة (Flaviviridea):

مثل الحمي (الصفراء) (Yellow fever)، حمي الضنك (Dengue fever) ¹¹

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حمي (لاسا) ..

من الأمراض الفيروسية القاتلة التي ليس لها لقاح حتى لحظة كتابة تلك السطور..

حمي (لاسا) مرض نزفي فيروسي حاد يدوم فترة تتراوح بين يومين وثلاثة أسابيع.. ويظهر في غرب أفريقيا.

ينتقل فيروس (لاسا) إلى الإنسان عن طريق ملامسة الأغذية أو الأدوات المنزلية الملوثة ببول القوارض والثعابين أو برازها.

يمكن أن تنتقل العدوي أيضًا من شخص إلى آخر.. وفي المختبرات.. ولا سيما في المستشفيات التي تفتقر إلى تدابير كافية للوقاية من العدوي ومكافحتها.

من المعروف أن حمي (لاسا) متوطنة في كل من البلاد الآتية:

(بنين) (غانا) (غينيا) (ليبيريا) (مالي) (سيراليون) (نيجيريا).. لكنه يُحتمل وجودها أيضًا في بلدان أخرى في غرب أفريقيا.

قد تتحسن حالة (بعض) المرضى من الرعاية المُبكرة، عن طريق الإكثار من تعويض السوائل.. معالجة الأعراض، مما قد يُعطي فرص البقاء على قيد الحياة ، أكثر مِنْ هؤلاء الذين يحضرون متأخرًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ظهر الفيروس المسبب لحمي (لاسا) أول مرة في الخمسينات، على الرغم من ذلك لم يتم التعرف عليه.. وتصنيفه حتى عام (١٩٦٩).

فيروس (لاسا) ينتمي إلى الفصيلة الرملية.. ولا تظهر الأعراض على حوالى (٨٠٪) من الأشخاص المصابين بالعدوى، وهو مرض حيواني المصدر، مما يعني أن الإنسان يصاب بالعدوى نتيجة لمخالطة حيوانات مصابة بالعدوى.

المستودع الحيواني الرئيسي أو العامل المُضيف للفيروس، هو قارض (فأر) ينتمي إلى جنس يسمى (المستوم) (Mastomys Genus).. والذي يُسمى بالجرذ عديد الأتداء.

لا تصاب جرذان (المستوم) بالمرض نتيجة للعدوى بفيروس (لاسا).. إلا أنها تُخرج الفيروس في البول والبراز.

كان من الصعب في البداية الكشف عن المرض، لدى المرضى المصابين بالعدوى، لأن مسار المرض السريري شديد التغير.

تم تشخيص حمى (لاسا) للمرة الأولى في (بنين) (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٤).

(غانا) للمرة الأولى في (تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١).

ثم (غينيا) (ليبريا) (مالي) للمرة الأولى في (شباط/ فبراير ٢٠٠٩).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تتراوح فترة الحضانة ما بين (٣) أيام إلى ثلاثة أسابيع.

تظهر الأعراض - عادة - تدريجيًا، ابتداءً من الحمى.. الضعف العام.. التوعك، ثم يلي ذلك بعد بضعة أيام الصداع.. التهاب الحلق.. الألم العضلي.. الألم الصدري.. الغثيان.. القيء.. الإسهال.. السعال.. الألم البطني.

ثم يتصاعد الأمر إلى تورم في الوجه.. سائل في الجوف الرئوي.. نزيف من كل فتحات الجسم.

تحدث الوفاة عادة في غضون خمسة عشر يومًا من ظهور الأعراض في الحالات المميتة.. والتي تحضر متأخرًا..

يصاب الإنسان بعدوى فيروس (لاسا) نتيجة التعرض لبول جرذان (المستوم) المصابة بالعدوى أو برازها.

وقد ينتشر الفيروس أيضًا بين الإنسان عن طريق الملامسة المباشرة لكل سائل الجسم.. الخاصة بشخص مصاب بالعدوى (دم) (بول) (براز) (دموع العين) (العرق) (اللعاب)..

تظهر حمى (لاسا) لدى جميع الفئات العمرية من الجنسين. والأشخاص الأكثر تعرضًا لخطر الإصابة بها هم الأشخاص المقيمون في المناطق الريفية حيث

توجد جردان المستوم عادة. خاصة في المجتمعات المحلية التي تعاني من سوء الخدمات الصحية والتكدس.

يصعب تشخيص حمي (لاسا) ¹² لأن أعراض هذا المرض شديدة التغير.. أيضًا غير محددة.. وتتشابه مع أعراض أمراض كثيرة أخرى. خاصة في مراحل المرض الأولى.

من الصعب - أيضًا - تمييز حمي (لاسا) عن سائر أشكال الحمي النزفية الفيروسية الأخرى، مثل مرض فيروس (إيبولا) (الملاريا) (التيفود) (الحمي الصفراء).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



16 - الاختيار..

الخامسة وإحدى عشرة دقيقة صباحًا: ٠٥:١١ AM

لهث كل من (غوستاف) و(توم).. بعدما نجح في إخراج الدكتور (تورادو) من مركز أبحاث القاعدة العسكرية.. وتم وضعه - معزولاً - في تلك السيارة.. بجواره الدكتور (باز).

طرق (غوستاف) على جانب السيارة قائلاً بلهجة آمرة:

- «تحرك..»

استوقفه (توم) بإشارة من يده في اعتراض.. متسائلاً:

- «إلى أين؟..»

نظر (غوستاف) إليه.. متممًا في تحدّ:

- «مركز الظواهر.. هل لديك مانع؟..»

(توم) في عناد:

- «لا.. سيذهب إلى مركز أبحاث البلدية..»

(غوستاف) بحزم:

- «لقد كان هناك في البداية.. ولم تستطع حمايته..»

كاد (توم) يعترض مرة أخرى.. لولا أن أتى ذلك الانفجار الأخير ليطيح ببقية المركز..

عاد (غوستاف) يصرخ في السائق:

- «تحرك بسرعة..»

لم يستطع (توم) منعه هذه المرة.. وهو يحمي وجهه من صهد النيران..

ران الصمت على المشهد لثوان، قبل أن يُعطي فجأة هاتف (توم) ذلك الإشعار المميز..

ابتعد - قليلًا - يتطلع لشاشة الهاتف في ترقب..

كانت الخوارزمية التي زرعها في أبحاث الدكتور (تورادو) بدأت تعمل.. مما يعني أن الوغد (شاؤول) قد فتح الملفات التي أرسلها لنفسه..

قرأ تلك الرسالة التي تقول:

- «جاري تحديد الموقع..»

وظهر خط أحمر مُتنامي.. يستهدف نقطة ما على الجانب الآخر من الشاشة ، حتى انتهى الكمبيوتر.. وأعطاه عنوانًا..

اقترب (توم) من (غوستاف) يحمل تلك النظرة المتحفزة.. قائلاً:

- «هل تريد العبث مع مَنْ فعل هذا؟..»

وأشار للنيران التي يحاول رجال الإطفاء السيطرة عليها.. وهو يبتعد يركب سيارته مردفًا:

- «إذا كُنت تريد ذلك؟.. أنا في الطريق إليه..»

نظر له (غوستاف) في شك.. قائلاً:

- «أنا لا أثق بك.. لكنني سأرافقك..»

وصعدا للسيارة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة وسبع وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٥:٣٧ AM

مركز الظواهر..

لم يصدق (مارتن) عينيه.. والدكتور (باز) يدلف عليه دافعًا سرير إسعاف مع رجال أمن المركز.. عليه الدكتور (تورادو)..

أسرع يضعه على سريره السابق.. ويعزل الغرفة.. ويقوم بتوصيل الأجهزة بجسده..

انصرف رجال الأمن.. بينما تحرك (عمر) يصافح الدكتور (باز) - الذي كان في حالة يرثي لها - مرددًا:

- «مرحبًا يا سيدي..»

كان (باز) قد استعاد قدرًا كبيرًا من السيطرة على انفعاله.. صافحه قائلاً:

- «مرحبًا يا بني..»

وجلس فوق أقرب مقعد قابله..

أحضر له (طارق) مشروبًا غازيًا.. فتناوله (باز) بنهم.. متممًا:

- «أشكرك..»

عاد (مارتن) للمشهد.. وتعارف عليه، قبل أن يتأمل (باز) شاشة المعمل، التي يوجد عليها صورة الفيروسات الثلاثة متجاورة.. مضيئًا:

- «يبدو أنك قد قطعت شوطًا كبيرًا في أبحاثك..»

تبادل الجميع النظرات المتسائلة..

- «هل لديك ما تضيفه؟»

كان ذلك سؤال (مارتن).. فضاحت عينا (باز) متسائلًا هو الآخر:

- «قبل ذلك أريد توضيحًا..»

وأشار لصورة أول الفيروسات.. مردفًا بفضول:

- «تلك الصورة أراها لأول مرة..»

أماء (مارتن) برأسه قائلاً:

- «فيروس حمي (لاسا)..»

- «ما علاقته بـ (نيتروما)؟..»

سأخبرك.. وأخذ يتبادل معه كل ما وصل إليه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة وأربعون دقيقة صباحًا: ٠٥:٤٠ AM

مصنع قديم في شمال ولاية (فلوريدا)، تُحيط به الأشجار المتوسطة من كل جانب، توقفت سيارة (توم).. قبل أن يهبط منها (غوستاف) قائلاً بتوجس نادرًا ما يصيبه:

- «مكان مناسب لينتهي فيه الأمر!..»

وسحب أجزاء مسدسه الكاتم للصوت، بينما أسرع (توم) يفتح الحقيبة الخلفية لسيارته.. ويخرج بعض الأسلحة الثقيلة..

- «سنحتاج إلى هذا..»

تأمل (غوستاف) قاذفة الصواريخ التي بين يديه بلامبالاة.. ثم عاد ينظر للمكان بعيون متفحصة.. متممًا:

- «أري أن ننتظر الدعم..»

وهز رأسه مستطرًا في رفض:

- «المكان مكشوف.. وخطير.. أشعر بهذا..»

قال (توم) بلمحة سخرية:

- «(غوستاف) العظيم.. ينتظر الدعم!!..»

أضاف الأخير بحدة.. وهو يُمسك ذراعه:

- «الأمر ليس له علاقة بالشجاعة الآن..»

سحب (توم) ذراعه من يده.. ونظر له تلك النظرة الحاسمة.. قائلاً:

- «سأذهب منفردًا إذن..»

وكاد يشرع في هذا.. لكن (غوستاف) تراجع.. واستوقفه.. متممًا بعصبية:

- «انتظر.. سأذهب معك..»

عاد (توم) يتأمل المكان.. متسائلًا:

- «من أين تُفضل أن نبدأ؟..»

ضاقت عينا (غوستاف).. مُجيبًا:

- «الأفكار المتطرفة مثل الجرذان.. تُحب الجحور..»

وأشار لبقعة ما..

في تلك اللحظة كان (شاؤول) يجلس أمام شاشة كمبيوتر متطور يراجع تلك البيانات.. وسط ردهة واسعة.. انتشرت فيها أجهزة مماثلة كثيرة.. وصناديق.. وأسلحة.. وأشياء حياتية أخرى متعددة!.. تدل على أن المكان يتردد عليه هؤلاء منذ فترة طويلة!..

قال أحد مساعديه.. وهو يحاول تشغيل جهاز حقيبة (باز):

- «إنه مُشفّر..»

ابتسم (شاؤول) تلك الابتسامة الصفراء.. متممًا:

- «إنه تخصصك إذن..»

أسرع الرجل بتوصيل الجهاز.. بجهاز صغير آخر، حجمه مثل كف اليد.. فبدأ ذلك العداد السريع في الانطلاق..

- «دقائق ويكون لدينا شفرته..»

(شاؤول) دون أن يرفع عينيه عن الشاشة التي يعمل أمامها:

- «أثق في هذا..»

هنا.. اندفع أحد الرجال يقول لـ (شاؤول):

- «تم رصد دُخلاء..»

أسرع الأخير يضغط زرًا أمامه.. فظهر (توم) يتقدم بحذر عبر الأشجار. ترك مساعد (شاؤول) فك شفرة جهاز الدكتور (بان).. واندفع يتأمل الشاشة بدوره.. متسائلًا:

- «هل تعرفه؟..»

(شاؤول) بغضب:

- «نعم.. إنه (توم) برفقة عدوه اللدود (غوستاف)..»

ضاقت عينا المساعد.. مرددًا بدهشة:

- «عدوه اللدود؟!.. كيف؟..»

(شاؤول) جامعًا بعض الأغراض سريعًا:

- «السؤال الأهم!.. كيف وصلا إلى هنا؟..»

ثم أخذ يعطي أوامره للرجال بالمواربة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قال (توم) بتحفز.. بعدما وصل لنقطة معينة:

- «لا بد أن نفترق..»

أماء (غوستاف) برأسه مؤيدًا للفكرة في صمت.. ثم أخذ كل منهم اتجاهًا.. لم يضع (توم) الوقت.. أو حتى ينتظر إطلاق أول رصاصة عليه؟!.. رفع قاذفة الصواريخ وأطلق أول قذيفة نحو مدخل المصنع.. و...

انفتحت أبواب الجحيم..

ظهر فجأة أكثر من عشرة رجال يحملون مدافع رشاشة.. ويسرفون في إطلاق الرصاص..

أصاب (غوستاف) في اللحظة الأولى أحدهم برصاصة في كتفه.. بينما تمركز الآخرون في مواقع مختلفة..

أصاب رصاصة (توم) في صدره.. فسقط على الأرض يتأوه من ردة فعلها، وليس إصابتها؟!.. لأنه كان يرتدي ذلك الزي الواقي من الرصاص..

نهض يواصل هجومه.. متممًا بغضب:

- «حسناً أيها الأوغاد..»

وأطلق قذيفة أخرى أطاحت بصندوق معدني متوسط الحجم، كان يتواري خلفه اثنان من الرجال..

سادت حالة من الفوضى.. استغلها (غوستاف) للتسلل داخل المصنع بجرأة.. قابله أحدهم فجأة.. فأطاح به بلكمة واحدة..

في اللحظة التي أطلق فيها (توم) قذيفة ثالثة، مهدت الطريق أمام اقتحامه هو الآخر للمكان.. بعدما تراجع الرجال نحو الداخل..

استقر خلف ذلك الحاجز الخرساني - سريعاً - ليتفادي ذلك السيل من الرصاص الذي انطلق نحوه..

كان (غوستاف) هو الأكثر هدوءاً.. لأن عينيه كانتا تبحثان عن (شاؤول).. والذي لم يره من قبل إلا عبر الصور.. أثناء طريقه إلى هنا..

وبالفعل لمحّه يجري نحو تلك السيارة الرياضية الصغيرة حاملاً تلك الحقيبة ، كانت المسافة بينهم كبيرة.. تقترب من مائة متر..

لذلك أخذ يطلق الرصاص نحوه بسرعة، ليحول بينه وبين الوصول للعربة..

كادت إحدى تلك الرصاصات تصيب (شاؤول).. فاستدار في غضب ينظر نحوه.. بينما مساعده يرد بعنف..

تراجع (غوستاف) ليتفادي الرصاص.. قبل أن يطل برأسه مرة أخرى ويرد بدوره..

شعر الأخير أنه مُحاصر.. وما يفعله دون جدوى..

فالتقط مدفعاً رشاشاً يخص ذلك الرجل الذي صرعه منذ قليل.. ونهض يطلق الرصاص بغزارة..

تراجع حارس (شاؤول).. لكن الأخير كان قد نجح في دخول السيارة.. وبدأ يستعد للانطلاق بها..

هنا ظهر (توم) فجأة في المشهد يصرخ:

- «لن تنفع تلك الطريقة..»

وارتكز على ركبتيه يطلق تلك القذيفة.. والتي انطلقت تشق طريقها بشكل مرعب في فراغ المصنع، حتى أصابت جانباً من السيارة التي اشتعلت فيها النيران.. لكنها لم تتوقف..

انطلقت بإصرار نحو الخارج.. بينما يطلق كل تبقي من الرجال في المصنع الرصاص نحو (غوستاف) و (توم)...

صرخ الأخير بغضب متصاعد:

- «قُم بتغطيتي..»

وبجراحة لم يتوقع (غوستاف) وجودها في (توم).. شاهده يجري سريعًا في منطقة مكشوفة، مُتلقيًا العديد من الرصاصات في صدره وظهره.. قبل أن يقفز برشاقة عبر إحدى الشرفات للخارج..

شعر (غوستاف) بالغيرة!.. ووجد نفسه يستدير للجميع.. ويفتح النار بغزارة.. لكن رصاصاته شارفت على الانتهاء.. فعاد يتواري يلتقط أنفاسه، تاركًا الرجال يفرغون غضبهم..

ومن زاوية صغيرة خلف بعض الصناديق أخذ ينظر للتفاصيل، حتى لقطت عيناه ذلك الشيء..

ابتسم في سخرية.. وأخذ نفسًا عميقًا متممًا:

- «فليبدأ العرض..»

وبجراحة ظهر لهم مرة أخرى.. وأخذ يطلق الرصاص، لكن ليس عليهم هذه المرة.. بل على عدة صناديق ذخيرة.. تتواجد على بُعد أمتار منهم..

أصابتهم الدهشة لثوان.. وراى الصمت.. قبل أن ينتبه الجميع لما يفعل..

حينئذ.. تخلي غالبية الرجال عن فكرة الهجوم.. وصار هم كل واحد منهم الابتعاد قدر المستطاع قبل الانفجار..

والذي لم يتأخر طويلاً..

لدرجة أن (غوستاف) بدأ هو الآخر يهرول بأقصى سرعة للفرار..

تلاحقه الانفجارات المتتالية المتصاعدة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انطلق (شاؤول) فوق تلك الأرض غير الممهدة يحاول الفرار.. بسيارة تشتعل فيها النيران من الخارج..

لم يكن يتخيل أن هناك المزيد ينتظره.. كان كل همه الوصول لشاطئ قريب حيث ينتظره يخت.. سوف يقله لجهة غير معلومة..

فجأة.. ظهر له (توم) من العدم.. يقف فوق تلك التّبة.. ويستعد لإطلاق آخر صاروخ معه..

- «اللعة..»

لم يكن (شاؤول) يملك رفاهية تفادي الأمر..

لذا كل ما فعل هو أن مسك تلك الحقيبة.. وقفز من السيارة يتدحرج فوق منحدر.. بينما يحدث ذلك الانفجار.. والذي تزامن مع انفجار ذخيرة المصنع..

حمي (شاؤول) وجهه من لفحة النيران الأولى.. ثم نهض يحاول الفرار والاختباء بين الأشجار القصيرة..

لكن (توم) لاحقه.. فسكن (شاؤول) في موقعه كي لا يُحدث أي صوت..

(توم) بسخريّة:

- «الاختباء لعبة الجبناء..»

وأخذ يبحث عنه في حذر بين الشجيرات.. قبل أن يظهر (شاؤول) - فجأة - له بقامته القصيرة حاملاً مسدساً كاتمًا للصوت.. متممًا ببرود:

- «ربما يكون تكتيكًا للحرب..»

وأطلق رصاصة ببرود.. أصابت قلب (توم)..

تراجع الأخير للحظة.. وعينا (شاؤول) تضيق مستطرّدًا بحدة:

- «ترتدي زياً واقياً للرصاص..»

عدل فوهة مسدسه نحو الأسفل.. وبدأ يطلق الرصاص بغزارة.. لكن (توم) هجم عليه سريعاً.. قائلاً:

- «فقدت المبادرة..»

وفي أقل من ثانية كان يقف أمام (شاؤول)، لكن بعدما أصابت رصاصة فخذه..

حاول الأخير توجيه المسدس نحو رأس (توم) بعد ذلك، لكنه طار من يده إثر لكمة خاطفة من يد الأخير..

وبدأ التشابك بالأيدي العارية..

تراجع (شاؤول) للخلف.. مُتخذًا وضعية قتالية.. وهو يردد بثقة:

- «منذ فترة لم أقتل أحداً بيدي..»

واستدار على عقبه.. ولطم وجه (توم) بركلة من قدمه..
لم يستطع الأخير - حَقًّا - تفادي الأمر.. و(شاؤول) يعود للوضعية القتالية..
مستطرًا بسخرية عصبية:

- «تتصور أنني رجل علم فقط؟!..»

مسح (توم) خيطًا من الدماء، سال من أنفه.. قائلاً بغل:

- «جبان..»

ودون أدنى تردد هجم عليه.. ليحتضنه من وسطه.. ويندفع به للخلف..
حاول (شاؤول) توجيه اللكمات لوجهه، لكن (توم) تحملها ببسالة.. حتى سقطا
على الأرض.. وبدأ كل منهما يُكيّل اللكمات للآخر..

أصيب (شاؤول) بالإرهاك.. فابتعد.. وأخذ يضرب فخذ (توم) المصاب..
صرخ الأخير.. ونهض واقفًا.. فاستقبله (شاؤول) بركلة عنيفة أعادته للأرض ،
لكن فجأة ظهرت أول مروحية في السماء..

تلقت نحوها (شاؤول) غريزياً، مما أعطي لحظة لـ (توم) كي ينظر نحو
المسدس المُلقى على الأرض..

ويتقلب بشكل سريع.. ويلتقطه..

عاد (شاؤول) للمشهد.. وكان عليه الاختيار ما بين الاستمرار في القتال.. أو
النجاة بحياته..

لم يكن الأمر صعبًا..

دون تردد.. انسحب للخلف مهوّلًا نحو الشاطئ.. مخلّقًا وراءه (توم)، الذي
نهض بصعوبة، يحاول ملاحقته.. لكن إصابته منعتة..

فتنهّد بعمق متممًا:

- «لنا لقاء ثانٍ أيها الوغد..»

وعاد يبحث عن الحقيقة حتى وجدها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السادسة وثلاثون دقيقة صباحًا: ٠٦:٣٠ AM

انتشرت قوات الأمن في كل مكان يحيط ببقعة المصنع المهجور بشمال
الولاية.. عربات إسعاف.. إطفاء.. قوات شرطة.. جيش.. خبراء متفجرات
ورفع أدلة.. حتى المخابرات بكل أنواعها؟!..

إنها تلك الفوضى المعتادة.. التي تأتي - دائماً - في نهاية مشاهد الأحداث الكبرى في أمريكا، كما تحب أن تصدرها لنا السينما..

وسط كل هذا وقف (غوستاف) بجوار (توم) صامتاً.. والأخير يضع بطانية حرارية على كتفيه.. والمسعفون يلفون تلك الضمادة حول فخذه.. متممًا بلهجة بدت غريبة بينهم:

- «شكرًا على المساعدة..»

بقي (غوستاف) على صمته، حتى انصرف المسعفون.. ثم قال بسخرية:

- «هل تحاول البدء في الاستقامة..»

(توم) بإرهاق:

- «أنا مستقيم منذ البداية!.. أنت فقط الذي تراني هكذا..»

هز (غوستاف) رأسه في رفض.. مضيئًا:

- «ذلك طريق لا تعرفه..»

كان (غوستاف) يحمل عيبًا خطيرًا..

وهو أنه يملك دائماً القدرة على التشریح النفسي للشخصيات التي يقابلها مبكرًا؟!.. يفعل ذلك بشكل غريزي؟!..

كان يملك قدرة فطرية على رؤية نواقص البشر الذين يُحيطون به..

الأمر الذي كان يؤرقه كثيرًا؟!.. فهو لا يهدأ إلا عندما يهاجمهم بشراسة، لذلك أصبح نغمة شاذة في أي مجتمع يتواجد به..

فكل مَنْ يعرفه يريد التخلص منه!.. أو على الأقل إخراجَه من دائرة حياته، لأنه لا يتحمل رؤية تلك النواقص.. وبالتالي عدم السماح بها!..

لا يملك القدرة على المغفرة أو التبرير.. يذهب - مباشرة - نحو العقاب ، مهما كلفه الأمر..

يقتل المجرمين أثناء مطاردتهم!.. لو مجرد شَعْر أن محامياً رخيصةً قد يستطيع إخراجَه، لعدم كفاية الأدلة..

حاول كثيرًا الابتعاد.. لكنه لم يستطع!..

يبدو أن طبيعته هي التي تُمارسه وليس العكس!.. وهذا ما يُبرر وحدته الدائمة.. ومغادرة الجميع لحياته..

استدار ينظر لـ (توم) حاملاً تلك النظرة الصارمة قبل أن يقول:

- «أنت رهن الاعتقال..»
ووضع سريعًا بين يديه تلك الأغلال المعدنية..
قال (توم) بغضب اختلط بالدهشة:
- «ماذا تفعل؟»
- «العدالة..»
وأشار للبعض.. فأتوا لاصطحابه.. و(توم) يصيح:
- «كان ينبغي أن أعرف أن الهدنة بيننا مؤقتة..»
استدار (غوستاف) يسير نحو الجانب الآخر مبتعدًا.. و(توم) يستمر في الصياح:
- «سوف أخرج..»
لوح له (غوستاف) بيده متمتمًا بإنهاء للموقف:
- «وأنا أنتظرك..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



17 - الختام..

اليوم الثاني بعد الأحداث..

الخمسة مساءً.. مركز الظواهر..

امتدت يد الدكتور (باز) المرتعشة نحو جهاز صنع القهوة، باحثًا عن شيء من الكافيين.. لم يجد..

أسرع يقول لـ (مارتن):

- «هل لديك قهوة؟..»

كان الأخير شاردًا.. ويعمل على شيء ما.. رغم ذلك أجابه:

- «نعم..»

تقدم نحوه (باز) يرشف ما بقي في كوبه.. مرددًا في تذمر:

- «نحن معتقلون هنا.. وغير مسموح لنا بالخروج.. ذلك أمر سخيف حقًا..»

تجاهل (مارتن) عبارته التي قالها اليوم - فقط - أكثر من عشر مرات.. واستدار نحوه يقول:

- «ما رأيك أن نعيد ترتيب الأمر..»

لوح (باز) بالكوب في وجهه.. قائلاً ببهجة زائفة:

- «تفضل..»

نهض (مارتن) يسير في الردهة.. مرددًا:

- «بدأ الأمر عندما حاول ذلك المدعو (توم) استغلال حدث ذلك التابوت.. وتجربة سلاح بيولوجي جديد.. يملكون لقاءً له!.. وهو (نيتروما ١)، لكن ما حدث كان بعيد عن السيناريو المرسوم.. فقد ظهر لنا (نيتروما ٢)؟!.. والذي ليس له لقاء..»

- «بعد الفحص تبين أن الفيروس الثاني ليس له علاقة بالأول تمامًا.. بل وأنه ليس نتيجة له، سواء عن طريق الطفرة أو التغير البيئي؟!.. فما الذي حدث؟..»

- «فحصنا أيضًا المومياء.. فوجدنا فيروس (لاسا).. والذي أعتقد أنه كان السبب الرئيسي في (نيتروما ٢)..»

هنا ضاقت عينا (بان) متسائلاً بدهشة:

- «كيف؟»

(مارتن) في توضيح:

- «هذا ما توصلت له الآن؟!.. كأساس لحل اللغز، لقد انتقلت تلك القاعدة النيتروجينية الغربية الموجودة في (نيتروما ١) بعد أن تخلصت من جسد الفيروس.. إلى فيروس (لاسا).. ليصبح لدينا (نيتروما ٢)؟!..»

(بان) بعدما حصل على اهتمامه:

- «تعني أن القاعدة النيتروجينية استخدمت فيروس (لاسا) كوعاء.. لإنتاج (نيتروما ٢).. فتغير سلوك الفيروس كلية..»

- «بالضبط..»

(بان):

- «ذلك تقدم كبير..»

(مارتن) بمزيد من التركيز:

- «نأتي للنقطة الثانية.. وهي لماذا كان الدكتور (تورادو) هو الوحيد الذي لم يتأثر بشكل كامل بالنيتروما؟!.. وظل لديه قاعدة أكسجين واحدة فقط باقية من الأعمدة الأربعة للهيوجلوبيين..»

- «الإجابة ببساطة هي أن الدكتور عندما صنع (نيتروما)، حاول أن يكون مُشابهًا تقريبًا لشريط الشفرة الوراثية الخاص به، كي يُخلد اسمه!.. لم يكن يدري أن ذلك سيكون سببًا لإنقاذ حياته يومًا.. لأنه عندما هاجمه الفيروس، شعر أنه يهاجم نفسه، من كثرة التطابق.. مما جعله يتوقف عند مرحلة معينة..»

اتسعت عينا (بان) منبهراً:

- «عظيم.. تبرير رائع.. كيف لم أسمع باسمك من قبل يا بني؟!..»

تجاهل (مارتن) عبارته للمرة الثانية.. مضيقاً بإحباط:

- «لكن ما فائدة كل ذلك.. ونحن لا نستطيع صنع لقاح لـ (نيتروما ٢)؟!..»

هنا.. أتاهم - فجأة - صوت الدكتور (تورادو) ضعيفاً عبر مكبر للصوت يقول:

- «أنت عبقرى يا بني.. لقد استمعت لكل كلمة قلتها..»

اتسعت عينا (باز) و (مارتن).. وهما يندفعان للوقوف خلف ذلك الحاجز الزجاجي الذي يفصلهم عنه.. والأخير يردد بسعادة:

- «دكتور (تورادو).. شرف عظيم أن أسمع منك ذلك..»

قال الأخير بصعوبة:

- «أتبع نفس المسار الذي عملت عليه في أبحاثي.. (الميزوسوم) ¹³.. نقطة ضعف (نيتروما ١) كانت في (الميزوسوم)؟!.. أعتقد أنهم سيتفقون في ذلك؟!.. (الميزوسوم) يا بني..»

وظل يكررها بضعف حتى غاب مرة أخرى عن الوعي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وبالفعل منذ تلك اللحظة عَمِل (مارتن) و(باز) على إضعاف ذلك الغشاء البلازمي.. مما جعل خلية الفيروس لا تتحكم في النفاذية الاختيارية لها.. و....

تم تدمير (نيتروما ٢)...

تكاثفت جهود وزارة الدفاع في أيام قليلة، لإنتاج تلك الكمية الهائلة من لقاح الفيروس، لينتهي ذلك الكابوس إلى الأبد..

عاد (تورادو) بعد فترة نقاهة طويلة، للعمل في وزارة الدفاع على مشروع ضخم.. وجعل (مارتن) مساعده الأول..

أما الدكتورة (صوفيا).. فتزوجت (مارتن) واعتزلت العمل في مركز الظواهر.. وكان مبررها الدائم أنها أخذت جرعة من التوتر والإثارة في تلك الليلة، تكفيها الباقي من عمرها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم الثالث بعد الأحداث..

العاشرة صباحًا.. البيت الأبيض نيويورك..

دلف ذلك المحقق على المستشار الأمني للرئيس الأمريكي (كونر).. فاستقبله الأخير ببرود متممًا:

- «أبلغوني أنك تريد مقابلة الرئيس..»

صاقت عينا المحقق.. مضيقًا:

- «هل هناك ما يمنع ذلك؟..»

تأمله (كونر) قائلاً بريبة:

- «ليس هناك ما يمنع طبعًا.. لكنني بصفتي الوظيفية أريد معرفة سبب الزيارة..»

ونفض من خلف المكتب، ليقف أمامه.. بينما يقول المحقق بثبات:

- «سأعرض عليه نتيجة بعض التحقيقات في قضية أعمل عليها..»

تحرك (كونر) نحو بار صغير في مكتبه يُعد مشروبًا.. مرددًا بحذر:

- «قضية السيناتور (ويتمان)..»

ضاقت عينا المحقق.. مؤكدًا:

- «نعم..»

تناول (كونر) بعض مشروبه.. قائلاً في تفكير:

- «وهل هناك في القضية ما يستدعي تدخل الرئيس شخصيًا..»

ران الصمت بينهم للحظات.. و(كونر) يقدم له مشروبًا صغيرًا.. مردفًا:

- «كل ما أعرفه أن الرجل أصيب بنوبة قلبية حادة..»

تناول المحقق منه الكوب الصغير.. متممًا بحيرة:

- «لقد أثبتت التحقيقات عكس ذلك..»

تجمدت ملامح (كونر).. وهو يذهب نحو مكتبه.. متسائلًا بحذر:

- «كيف؟..»

أجاب المحقق ببساطة:

- «هناك ثمة عقار وُجد في دماء السيناتور؟!.. هو الذي تسبب في أزمته القلبية..»

فتح (كونر) درج مكتبه.. ل يبدو ذلك المسدس الكاتم للصوت يرقد داخله.. قائلاً باستدراج:

- «تعني أن الرجل قد تم قتله؟..»

المحقق:

- «غالبًا ذلك..»

هنا شَهر (كونر) المسدس في وجه المحقق متممًا ببرود:

- «مَنْ غيرك يعرف ما قُلته الآن؟..»

سقط الكوب من يد المحقق، متراجعا للخلف.. وهو يردد بخوف:

- «سيد (كونر)!! ماذا تفعل؟..»

تقدم نحوه الأخير أكثر.. قائلاً:

- «لم تُجب عن السؤال؟»

هنا تحولت ملامح المحقق من الخوف للثقة.. مردداً:

- «يبدو أنك تخشي كشف أمرك..»

(كونر) بسخرية:

- «دائماً أحب الجرائم النظيفة..»

ابتسم المحقق في غموض.. متسائلاً:

- «كيف ستبرر جريمتك معي..»

(كونر) بغرور:

- «لا تشغل عقلك بتلك التفاصيل، أنت رجل على مشارف الموت..»

وكاد يضغط الزناد.. لكن فجأة انفتح باب جانبي.. وظهر خلفه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.. وجواره مدير الاستخبارات المركزية..

تجمد الموقف.. و(كونر) يردد:

- «سيدي الرئيس.. لقد كان....»

تقدم الرئيس ليقف أمامه.. قائلاً بحزم:

- «لقد اخترتك بنفسك.. رغم كل التحذيرات التي أتنني من الجميع..»

نظر (كونر) نحو الأرض في صمت.. وفريق أمني يدلف للمكان يقبض عليه.. ويصحبه للخارج..

غادر المحقق.. وبقي مدير الاستخبارات بجوار الرئيس، الذي تقدم للأمام.. ليقف أمام تلك الشرفة.. متسائلاً:

- «كيف سنبرر الأمر؟.. الجمعية لن تصمت على هذا؟.. تعرف أنهم يمثلون ورقة ضغط - مستفزة - دائمة..»

عقد المدير يديه خلف ظهره.. قائلاً بتفكير:

- «إنهم يتوقعون طمس كل شيء كالعادة.. دون عقاب، لقد استفحل نفوذهم.. وأري أن نضع البعض في السجن هذه المرة.. بهذا تكون الرسالة قد وصلت..»

الرئيس:

- «معك حق.. يجب أن نغسل أيدينا منهم قليلًا، مهما كلفنا الأمر..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجنرال (توماس).. وُجد في غرفة نومه غارقًا في دمائه.. وبجواره رسالة انتحار، في اليوم التالي نشرت الصحف عدة مقالات، تنعيه فيها.. وكم كان أحد الرجال الذين ساهموا في بناء الولايات المتحدة الأمريكية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من خصال الصهاينة عند التفاوض أو حتى الهزيمة، أنهم لا يعودون أبدًا للمربع صفر، كل ما يفعلونه.. هو العودة - فقط - خطوة إلى الخلف..

عندما يشعرون أن البيئة الحاضنة غير مناسبة لطموحهم!.. يؤجلون القرار.. ولو سنين طويلة تصل لعقود..

حتى يتغير الجيل.. ويصبح الظرف السياسي والاجتماعي مناسبًا.. فيعودون للظهور.. ويلحون في نفس الطلب.

إنهم يملكون إرادة صراع طويلة موروثة.. لا تنتهي أبدًا..

وقف رئيس الجمعية أمام (شاؤول) يردد بعمق:

- «يجب أن ننحني لفترة.. ونبتعد عن الصورة..»

(شاؤول) بعصبية:

- «ماذا تعني؟»

الرجل بهدوء:

- «ستعود إلى (إسرائيل) الليلة بجواز سفر دبلوماسي..»

تجمعت الدموع في عيني (شاؤول) بصمت.. فاقترب العجوز يربت على كتفه مستطرًا بمزيد من العمق:

- «المكان غير جاهز بعد لاستقبالنا يا بني..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم الثاني بعد الأحداث..

الرابعة مساءً.. خليج المكسيك..

اجتمع الجميع في بداية تلك الليلة بمنزل السيدة (ماري). وقف (طارق) بجوار (عمر) يتأمل مياه الخليج.. متسائلًا:

- «لماذا أنت هكذا؟..»

(عمر) بشرود:

- «ماذا تعني؟..»

لوح (طارق) بيده.. قائلاً:

- «تلك العزلة.. وهذا المناخ الذي تعيش فيه.. أري أنك تستحق حياة أفضل..»

تنهَّد (عمر):

- «هذا المناخ هو الذي اختارني.. وليس العكس..»

صمت (طارق) لحظة.. ثم أضاف:

- «لست الوحيد الذي عاش طفولة غير مناسبة..»

ابتسم (عمر).. مضيئًا بجمود:

- «أنا مُحاط بعالم شاسع من الرفض..»

(طارق) بجرأة قاسية:

- «هذا غير مُقنع.. أنت كل ما تفعله هو أنك تبحث عن سبب دائم كي تكون تعيشًا.. أنت تقاوم السعادة!.. لأنها عالم غريب بالنسبة إليك!.. لم تعرفها الكثير من حياتك.. لهذا تبحث دائمًا عما تألفه!.. الوحدة والحزن!..»

كان (طارق) يتوقع منه مقاومة الفكرة أو حتى بعض الغضب.. لكن (عمر) صمت قليلًا يتأمل الفراغ.. ثم قال:

- «وما الحل من وجهة نظرك؟..»

ارتبك (طارق).. يبحث عن إجابة.. قبل أن يقول ببساطة:

- «الاندماج.. حاول الاندماج مع الآخرين..»

ابتسم (عمر).. الذي كان يُجري حوارًا مثل هذا لأول مرة في حياته.. مرددًا:

- «رغم أنه قد فات الوقت على ذلك.. لكن أعدك أن أفعل..»

وتصافحا بشدة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتهت تلك الليلة في منزل السيدة (ماري).. وصار الكل برفقة أحد ما..

(ميراندا) مع (غوستاف)..

(عمر) كان يجلس مع (صوفيا).. بينما (مارتن) كان أسير مركز الظواهر حينها يبحث عن لقاء برفقة (باز)..

تأمل (طارق) المشهد في سخرية.. وحقًا شعر بالوحدة.. والحنين إلى قريته، لم يُخرجه من شروده سوى يد العجوز (جاك)، التي وضعها - فجأة - على كتفه متمنًا بود:

- «أشكرك..»

(طارق) بسعادة:

- «على ماذا؟»

نظر (جاك) لـ (ماري).. وهي مشغولة في إعداد طعام ما.. قبل أن يغمز بعينه مضيئًا:

- «على تلك الحياة..»

ضحك (طارق).. مرددًا:

- «أنا هنا دائمًا..»

(جاك) بجدية:

- «لقد أيقظت شيئًا ما بداخلي كُنت أظن أنه قد مات من زمن بعيد..»

وتركه.. وانصرف ليكون برفقتها..

هز (طارق) رأسه متمنًا بسخرية:

- «لقد صار الوضع سخيًا..»

هنا.. لم يجد أمامه سوى (لولا).. والتي كانت تستعد للانصراف.. وما زالت تعاني من أعراض (hang over)!! وهي حالة من الأرق وعدم التركيز والصداع الشديد، تعقب دائمًا التناول المفرط للكحول أو المهدئات أو المخدرات..

كان وجهها متورمًا قليلًا.. اقترب منها يقول:

- «كانت ليلة رائعة..»

(لولا) بحيرة:

- «حَقًّا؟! أنا لا أذكر شيئًا..»

تجاهل (طارق) تلك النقطة.. متسائلًا:

- «هل سأراك ثانية..»

(لولا) ببساطة:

- «طبعًا.. ما المانع؟!..»

وتعلقت برقبته بقوة..

(طارق) متقمصًا دور (عادل إمام) في فيلم (النمر والأنثى).. وهو يُلوح بيده قائلاً في تأثر ساخر:

- «لو كُنَّا في زمن غير الزمن... كُنَّا.....»

قاطعته (لولا) بدهشة:

- «what..»

أدرك أنه يتحدث بالعربية.. فعاد يقول بالإنجليزية ضاحكًا:

- «لا أبدًا.. هل لديك (facebook)»..

- «نعم..»

- «good..»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم السادس بعد الأحداث..

بدأت تظهر أعراض حمي (لاسا) على (طارق).. وظل نزيل الفراش لمدة عشرة أيام، قبل أن يستطيع السير على قدمه..

فتح (طارق) يومياته (أوغاد في حياتي) أثناء فترة النقاهة.. وهو يراقب (عمر) من الشرفة يجري بطول الشاطئ غير الممهّد، بجوار قطه فرعون.. وأخذ يكتب:

سوف يُخبرونك أن المكان رائع.. وعليك أن تُجرب القდوم.. لكن الحقيقة بعيدة عن هذا..

فعند كل لحظة تمر، يزداد الإنسان حمقًا ويخترق الطبيعة!.. وكنتيجة عادلة لذلك الغرور.. أصبح الجانب المظلم من العلم هو السائد!..

لدرجة أنه لم يعد هناك من حولنا.. سوي المسوخ.. والأفكار الشاذة.. والعلماء
المخابيل.. ذلك الصراع أزلي منذ بدء الخليقة..

صراع من أجل البقاء.. ومن أجل الغد..

كم أتوق لرغيف خبز ساخن، تُخرجه أمي من الفرن.. وأنا أجلس القرفصاء
بجوارها في الانتظار.. وتلك القطعة من الجبن المملح في يدي..

ذلك هو الأمان الذي ليس بعده أمان..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تنهد (طارق) عائداً لأرض الواقع.. بمركز (أجزون).. وهو يتسهم.. قبل أن يُخرج
هاتفه.. ويفتح الفيس بوك..

بحث عن حسابات الجميع.. وتفاعل معها بالعديد من العبارات والرسائل
القصيرة، حتى وصل إلى حساب (لولا)..

العديد من الصور التلقائية الجريئة اقتحمت الهاتف، أخذ (طارق) يقلب فيها
مُبتسمًا، دون أن يشعر أن (عثمان) يقف خلفه.. ويتطلع إلى الشاشة بعدم
رضا؟!.. قبل أن يصيح فجأة قائلاً بحدة:

- «لماذا لا تتزوج يا بني؟!.. بدلاً مما تفعل..»

انتفض (طارق) حقًا.. وكاد يبكي.. وهو ينهض من السرير بغضب شديد..
يطارده.. مصممًا - هذه المرة - على الانتقام منه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تقابل (طارق) مع (عمر) في قصة أخرى مثيرة، ربما أحكيها لك في وقت
لاحق!.. إنها قصة ذلك الفتى (مارون).. الذي يذكر - جيدًا - يوم مولده..

أما الآن فدعونا نتحدث قليلاً عن العدد القادم..

إنها رواية نفسية تمامًا.. قصة فتاة عادية تدعي (شيماء).. والتي لم تحلم يومًا
بالكثير، في ظل مجتمع يُصر على قتلها كل يوم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

[تمت بحمد الله]

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طارق عبد الملك

فلوريدا..

يناير (٢٠١٤)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



متميزون للكتب النصية



Group Link – لينك الانضمام إلى الجروب

Link – لينك القناة

فهرس..

[تنويه..](#)

[الطارق](#)

[المقدمة](#)

[1 - الوكالة..](#)

[2 - القطار..](#)

[3 - الرجل..](#)

[4 - الحصار..](#)

[5 - المأزق..](#)

[6 - السقوط..](#)

[7 - الجريمة..](#)

[8 - القاع..](#)

[9 - ماري..](#)

[10 - نيتروما..](#)

[11 - الهجوم..](#)

[12 - الفريق..](#)

[13 - المصيدة..](#)

[14 - الأخير..](#)

[15 - حمي لاسا..](#)

[16 - الاختيار..](#)

[17 - الختام..](#)

Notes

[[←1](#)]

لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأول، العدد رقم (4) من السلسلة (الدم الأزرق).

[2-]

لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الثاني، العدد رقم (5) من السلسلة (الخلية).

[3-]

جهاز صدمات القلب: يُعرف بمزيل رجفان القلب (Defibrillation) أو (DC)، وهي اختصار لكلمة (Direct-Current)، يستخدم إما في إعادة إحياء عضلة القلب بعد توقفها لأي سبب، أو تهذيب نبضات القلب لو تخطت الـ (١٥٠) دقة في الدقيقة بحيث تعود لمعدلها الطبيعي الذي متوسطه (٧٥) دقة في الدقيقة.

[4-]

لمزيد من التفاصيل راجع العدد السابق من السلسلة (الخلية).

[5-]

الكوكايين: يعتبر من أقوى المخدرات و المنشطات الطبيعية للمخ، يتم استخراجة من نبات (الكوكا).. الذي ينمو في أحراش أمريكا الجنوبية خاصة (بوليفيا) و (بيرو).

[6-]

لمزيد من التفاصيل راجع العدد رقم (4) من السلسلة (الدم الأزرق).

[7-]

ميليسا مكارثي: ممثلة وكاتبة سيناريو أمريكية مواليد أغسطس (١٩٧٠)
من أشهر أفلامها (the heat)، (spy)

[8-]

السونار: هو عبارة عن جهاز يستخدم الموجات فوق الصوتية لمعرفة شكل الأعضاء الداخلية للجسم، والتي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، أو الأشعة العادية، وفيه يُوضع مجس خاص بجهاز السونار على الجلد الخارجي.. بحيث يقوم الطبيب بتحريكه لتصوير المناطق التي يريد فحصها.

[9-]

نهر المسيسيبي: هو أطول أنهار الولايات المتحدة الأمريكية. يقع في الشمال الشرقي، وكلمة (مسيبي) تعني النهر العظيم، ينبع من ولاية (مينيسوتا)، المصب (خليج المكسيك). طوله يقترب من أربعة آلاف كيلومتر تقريبًا، ازدهرت حوله حضارة المسيسيبي. يرجع تاريخه إلى مطلع العصر الجليدي الحديث (ما يفوق المليون عام)، في تلك الفترة كانت الأنهار الجليدية تغطي النصف الشمالي لكوكب الأرض، وبدأ النهر في التشكل بالتزامن مع تشكل بقية أنهار العالم، عقب ذوبان الجليد، وقد تم اكتشافه عام (١٥٤١) م على يد المستكشف الإسباني (هيرناندو دي سوتو).

[10-]

كل ما ورد في هذا الفصل من أسماء قبائل وشخصيات يستند لوقائع تاريخية حقيقية.

[11-]

المصدر: Mayo Clinic .. والعديد من المواقع الصحية الرسمية العالمية.

المصدر: منظمة الصحة العالمية.

[13-]

(Mesosome) (الميزوسوم): هي اثشاءات من الغشاء البلازمي للخلية نحو الداخل يُطلق عليها اسم (peripheral bodies)، توجد في معظم الخلايا البكتيرية.. وظيفتها: تقوم بعملية التنفس كبديل للميتوكوندريا (Mitochondria)، البناء الضوئي، تثبيت النيتروجين في البكتيريا ذاتية التغذية، مركز التحكم في الانقسام الخلوي..